سورة الاسراء-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (١) وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا (٣) وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا (٤) فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا (٥) ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا (٧)

تفسير سورة بني إسرائيل –و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (١)

(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ)

***فَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ،
وَ لَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَبِيرُ شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعْظَمًا،
وَ لَمَا بَادَرَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْذِيبِهِ،
وَ لَمَا ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ.
وَ أَيْضًا فَإِنَّ الْعَبْدَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الروح و الجسد،
❍ينزه تعالى نفسه المقدسة و يعظمها

لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جملتها أن

(أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا)

و رسوله محمد ﷺ

***صحيح البخاري 4716 –
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: 60]
قَالَ:"هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺلَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ،
{وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ}[الإسراء: 60]:شَجَرَةُ الزَّقُّومِ"

وَ قَالَ تَعَالَى:{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النَّجْمِ: 17]
وَ الْبَصَرُ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ.
وَ أَيْضًا فَإِنَّهُ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ،
وَ هُوَ دَابَّةٌ بَيْضَاءُ بَرَّاقَةٌ لَهَا لَمَعَانٌ،
وَ إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِلْبَدَنِ لَا لِلرُّوحِ؛
لِأَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ فِي حَرَكَتِهَا إِلَى مَرْكَبٍ تَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)

الذي هو أجل المساجد على الإطلاق

(إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا)

الذي هو من المساجد الفاضلة و هو محل الأنبياء.

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا و رجع في ليلته،

و أراه الله من آياته ما ازداد به هدى و بصيرة و ثباتا و فرقانا،

و هذا من اعتنائه تعالى به و لطفه

حيث يسره لليسرى في جميع أموره و خوَّلَه نعما فاق بها الأولين و الآخرين،

و ظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل و أنه من نفس المسجد الحرام،

لكن ثبت في الصحيح أنه أسري به من بيت أم هانئ،

فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم،

فكله تضاعف فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد،

و أن الإسراء بروحه و جسده معا

و إلا لم يكن في ذلك آية كبرى و منقبة عظيمة.

و قد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء،

و ذكر تفاصيل ما رأى و أنه أسري به إلى بيت المقدس

ثم عرج به من هناك إلى السماوات

حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلي

و رأى الجنة و النار،و الأنبياء على مراتبهم

و فرض عليه الصلوات خمسين،

ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم

حتى صارت خمسا بالفعل،و خمسين بالأجر و الثواب،

و حاز من المفاخر تلك الليلة هو و أمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل.

و ذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن و مقام التحدي بصفة العبودية

لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه.

و قـــــوله: (ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ)

أي: بكثرة الأشجار و الأنهار و الخصب الدائم.

و من بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام

و مسجد المدينة،

و أنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة و الصلاة فيه

و أن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه و أصفيائه.

(لِنُرِيَهُۥ)

***محمدا

(مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ)

***آياتنا

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النَّجْمِ: 18] .

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)

*الميسر:إن الله سبحانه و تعالى هو السميع لجميع الأصوات، (ٱلۡبَصِيرُ) بكل مُبْصَر، فيعطي كُلا ما يستحقه في الدنيا و الآخرة.

وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾

كثيرا ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ و نبوة موسى ﷺ

و بين كتابيهما و شريعتيهما

لأن كتابيهما أفضل الكتب و شريعتيهما أكمل الشرائع و نبوتيهما أعلى النبوات و أتباعهما أكثر المؤمنين،

و لهذا قال هنا: (وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ)

الذي هو التوراة

(وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق.

(أَلَّا تَتَّخِذُواْ)

***لِئَلَّا تَتَّخِذُوا

(مِن دُونِي وَكِيلًا)

***وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا وَ لَا مَعْبُودًا دُونِي

لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ أَنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

❍أي:و قلنا لهم ذلك و أنزلنا إليهم الكتاب

لذلك ليعبدوا الله وحده و ينيبوا إليه و يتخذوه وحده وكيلا و مدبرا لهم في أمر دينهم و دنياهم

و لا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا و لا ينفعونهم بشيء.

(ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ)

أي: يا ذرية من مننا عليهم و حملناهم مع نوح،

***يَا سُلَالَةَ مَنْ نَجَّيْنَا فَحَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، تَشَبَّهُوا بِأَبِيكُمْ،

(إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)

ففيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام بقيامه بشكر الله و اتصافه بذلك

و الحث لذريته أن يقتدوا به في شكره و يتابعوه عليه،

و أن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم و استخلفهم في الأرض و أغرق غيرهم.

*** صحيح مسلم

(2734)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(Î)

***صحيح البخاري

4712-فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ:

يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ،

وَ قَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا

(وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ)

أي: تقدمنا و عهدنا إليهم و أخبرناهم في كتابهم

(لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا)

أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين

بـــــــــــــــــ:

1-عمــــــــل المعاصي

2-و البطــــــــر لنعم الله

3-و العـــــــلو في الأرض

(الأكلة) الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء]

4-و التكبـــر فيها

و أنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء و انتقم منهم

و هذا تحذير لهم و إنذار لعلهم يرجعون فيتذكرون.

(فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا)

أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما

أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد

(بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ)

بعثا قدريا و سلطنا عليكم تسليطا كونيا جزائيا

(عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ)

أي: ذوي شجاعة و عدد و عدة فنصرهم الله عليكم

فقتلوكم و سبوا أولادكم و نهبوا أموالكم،

(فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ)

و جاسوا خِلالَ دياركم فهتكوا الدور و دخلوا المسجد الحرام و أفسدوه.

(وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا)

لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم.

و اختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار.

إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها

سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي و تركوا كثيرا من شريعتهم و طغوا

***وَ قَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي هَؤُلَاءِ الْمُسَلَّطِينَ عَلَيْهِمْ: مَنْ هُمْ؟

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةَ: أَنَّهُ جَالُوتُ الجَزَرِيّ وَ جُنُودُهُ،

سُلِّطَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا

ثُمَّ أُدِيلُوا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا}

وَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْصِلِ سِنْجَارِيبُ وَ جُنُودُهُ.

وَ عَنْهُ أَيْضًا، وَ عَنْ غَيْرِهِ: أَنَّهُ بُخْتُنَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ.

(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)

أي: على هؤلاء الذين سلطوا عليكم فأجليتموهم من دياركم.

(وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ)

أي: أكثرنا أرزاقكم و كثرناكم و قويناكم عليهم،

(وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)

منهم و ذلك بسبب إحسانكم و خضوعكم لله.

(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ)

لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم.

(وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ)

***فعليها

أي: فلأنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}[فُصِّلَتْ: 46] .

(فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ)

أي: المرة الآخرة التي تفسدون فيها في الأرض سلطنا عليكم الأعداء.

(لِيَسُـࣳٔـُوا۟ وُجُوهَكُمۡ)

بانتصارهم عليكم و سبيكم

***الميسر:** فتظهر آثار الإهانة و المذلة على وجوهكم،

(وَلِيَدۡخُلُوا۟ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةࣲ)

و ليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول مرة،

و المراد بالمسجد مسجد بيت المقدس.

(وَلِيُتَبِّرُوا۟)

أي: يخربوا و يدمروا في

(مَا عَلَوۡا۟)

عليه

(تَتۡبِيرًا)

فيخربوا بيوتكم و مساجدكم و حروثكم.

ذكر الاحاديث الواردة في الاسراء

صحيح مسلم

(162) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:
«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ،
يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»
قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»
قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ»
قَالَ " ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ،
ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلامبِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ،
فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ:
اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ،
فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ،
قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ،
فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ،
ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا،
فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: 57]
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَ مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا،
فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ،
ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ،
ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ،
وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ "
قَالَ: " فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ،
فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا،

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ،
فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟
قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً
قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ،
فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "
قَالَ: " فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي
فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا
قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "
قَالَ: " فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ بَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ:
يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ،
فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً،
وَ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً،
فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا،
وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا،
فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "
قَالَ: " فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ،
فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ "( )

(أتيت البراق) قال أهل اللغة البراق اسم الدابة التي ركبها ﷺ ليلة الإسراء (بيت المقدس) قال أبو علي الفارس لا يخلوا إما أن يكون مصدرا أو مكانا فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى إليه مرجعكم ونحوه من المصادر وإن كان مكانا فمعناه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها (فربطته بالحلقة) قال

***صحيح مسلم

(2375) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:

" أَتَيْتُ – وَ فِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ:

مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ،

وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ "

***صحيح البخاري

3207 عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ –

وَذَكَرَ: يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ –

فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا،

فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ،

ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ،

ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا،

وَ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَ فَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ

صاحب التحرير المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس (اخترت الفطرة) فسروا هنا الفطرة بالإسلام والاستقامة ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل (ثم عرج) أي صعد (إلى السدرة المنتهى) هكذا وقع في الأصول السدرة بالألف واللام وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول اللهﷺ وحكي عن عبد الله بن مسعود ﷺأنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى (كالقلال) جمع قلة والقلة جرة كبيرة تسع قربتين أو أكثر]

فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ،
فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ،
قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَ لَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَ يَحْيَى فَقَالاَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ،
فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟
قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ،
فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟
قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ،
قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ،
فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ،
فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟
قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ،
فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى،
فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ: قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الغُلاَمُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي،
فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟
قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ،
قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ،
فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ،
وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرَ وَ وَرَقُهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ
فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَ نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ،
فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ:
أَمَّا البَاطِنَانِ: فَفِي الجَنَّةِ،
وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ،
ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً،

فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى،
فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟
قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً
قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ،
عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ،
وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ،
فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلاَثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ،
ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا،
فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا،
فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟
قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ،
قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي،
وَ خَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي،
وَ أَجْزِي الحَسَنَةَ عَشْرًا،
صحيح البخاري
349 -عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:
كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
" فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي،
ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ،
ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا،
فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ،
ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ: لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ،
قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟

قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ،
فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا،
فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ،
إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى،
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ،
قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟
قَالَ: هَذَا آدَمُ،
وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ،
فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ،
وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ،
فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ،
وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،
فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنِهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ:
فَفَتَحَ، - قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ،
وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،
قَالَ أَنَسٌ - فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِإِدْرِيسَ
قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟
قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى
فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ
قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى،
ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ
قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ،

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ،
قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ"
قَالَ ابْنُ شِهَابٍ:
فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ،
كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ
قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ:
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً،
فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى،
فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَ لاَةً
قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ،
فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،
قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ،
فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ،
فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ،
فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ،
لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،
فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ:
اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي،
حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى،وَ غَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ؟
ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ "( )

(فرج) فتح فيه فتحة. (فعرج) صعد. (اسودة) جمع سواد وهو الشخص. (نسم) جمع نسمة وهي النفس أو الروح. (أبا حبة) هو عامر بن عبيد بن عمير بن ثابت. (ظهرت) علوت

***مسند أحمد ط الرسالة

21313 - حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ:قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺلَسَأَلْتُهُ.

قَالَ:وَ مَا كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَى رَبَّهُ؟

قَالَ:فَإِنِّي قَدْ سَأَلْتُهُ فَقَالَ: "قَدْ رَأَيْتُهُ نُورًا أَنَّى أَرَاهُ؟

قَالَ عَفَّانُ:وَ بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ هِشَامٍ يَعْنِي مُعَاذًا، أَنَّهُ رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ، كَمَا قَالَ هَمَّامٌ: "قَدْ رَأَيْتُهُ "

***صحيح مسلم

(178) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺهَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»( )

***صحيح البخاري

4710 - عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:

«لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ

وارتفعت. (لمستوى) موضع مشرف يستوي عليه وقيل هو المصعد. (صريف الأقلام) صوتها حين الكتابة أي أسمع صوت ما تكتبه الملائكة من قضاء الله ووحيه وتدبيره. (شطرها) نصفها. (سدرة المنتهى) السدرة واحدة السدر وهو نوع من الشجر وأضيفت إلى المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولا يجاوزها وقيل غير ذلك وهي في السماء السابعة وقيل أصلها في السادسة وأكثرها في السابعة. (غشيها) غطاها. (ترابها المسك) أي تفوح منه رأئحة المسك. (حبايل) قلائد وعقود جمع حبالة وهي جمع حبل]

(نور أنى أراه) هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات ومعناه حجابه النور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه]

فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ،
فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَ أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»
زَادَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ،
«لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ» نَحْوَهُ.
{قَاصِفًا} [الإسراء: 69]:«رِيحٌ تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ»( )
***مسند أحمد ط الرسالة
2819 -عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي،
وَ أَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي،
وَ عَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ "
فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا،
قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ،
فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَعَمْ "
قَالَ: مَا هُوَ؟
قَالَ: " إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ " قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟
قَالَ: " إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ "
قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟
قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَلَمْ يُرِه (1) أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ،
مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ،
قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟

(تقصف) تكسر والقاصف أيضا الريح ذات الهبوب الشديد والصوت القوي]

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَعَمْ "
فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ
حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا،
قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
" إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟
قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ،
قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ "
قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ
مُتَعَجِّبًا لِلكَذِبِ زَعَمَ
قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟
وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ،
وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ،
فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ "
قَالَ:فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ،
وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ "
قَالَ:وَ كَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ "
قَالَ:"فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ "
***صحيح مسلم
(173) عَنْ عَبْدِ اللهِ،
قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺانْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،
وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا،
وَ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»،

قَالَ: " {إِذْ يَغْشَى} [النجم: 16] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى "
قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»
قَالَ: " فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا:
أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ،
وَ أُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،
وَ غُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ "( )
***صحيح مسلم
(168) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ - مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»
قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى - فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ» - يَعْنِي حَمَّامًا –
قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، وَ أَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»،
قَالَ:"فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ،
وَ فِي الْآخَرِ خَمْرٌ،
فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ،
فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ،
فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ –
أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ "( )

(فراش من ذهب) الفراش دويبة ذات جناحين تتهافت في ضوء السراج واحدتها فراشه
(المقحمات) معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها والتقحم الوقوع في المهالك ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات]

***وَ إِذَا حَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَى مَجْمُوعِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ يَحْصُلُ مَضْمُونُ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مِنْ مِسْرَى رسول الله ﷺمن مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ،
وَ أَنَّهُ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ،
وَ إِنِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الرُّوَاةِ فِي أَدَائِهِ،
أَوْ زَادَ بَعْضُهُمْ فِيهِ أَوْ نَقَصَ مِنْهُ،
فَإِنَّ الْخَطَأَ جَائِزٌ عَلَى مَنْ عَدَا الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
وَ مَنْ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ كُلَّ رِوَايَةٍ خَالَفَتِ الْأُخْرَى مُرَّةً عَلَى حِدَةٍ،
فَأَثْبَتَ إِسْرَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةً فَقَدْ أَبْعَدَ وَأَغْرَبَ، وَهَرَبَ إِلَى غَيْرِ مَهْرَبٍ وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَطْلَبٍ.
وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُهُمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِأَنَّهُ، عليه السلامأُسْرِيَ بِهِ مَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَطْ،
وَ مَرَّةً مِنْ مَكَّةَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَطْ،
وَ مَرَّةً إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ.
وَفَرِحَ بِهَذَا الْمَسْلَكِ، وَأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِشَيْءٍ يَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْإِشْكَالَاتِ.
وَ هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا، وَ لَمْ يُنْقَلْ هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ،
وَ لَوْ تَعَدَّدَ هَذَا التَّعَدُّدُ لَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺبِهِ أُمَّتَهُ،
وَ لَنَقَلَتْهُ النَّاسُ عَلَى التَّعَدُّدِ وَ التَّكَرُّرِ.
قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ:

(مضطرب) هو مفتعل من الضرب صرح به ابن الأثير في النهاية (رجل الرأس) أي رجل الشعر وسيأتي معناه قريبا (فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس) أما الربعة فيقال رجل ربعة ومربوع أي بين الطويل والقصير وأما الديماس فقال الجوهري في صحاحه في هذا الحديث قوله خرج من ديماس يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال في وصفه كأن رأسه يقطر ماء]

كَانَ الْإِسْرَاءُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ.
وَكَذَا قَالَ عُرْوَةُ. وَ قَالَ السُّدِّيُّ: بِسِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا.
وَ الْحَقُّ أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْرِيَ بِهِ يَقَظَةً لَا مَنَامًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المقدس، راكبًا البراق
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ رَبَطَ الدَّابَّةَ عِنْدَ الْبَابِ،
وَ دَخَلَهُ فَصَلَّى فِي قِبْلَتِهِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ رَكْعَتَيْنِ.
ثُمَّ أَتَى الْمِعْرَاجَ وَهُوَ كَالسُّلَّمِ ذُو دَرَجٍ يُرْقَى فِيهَا-
فَصَعِدَ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
ثُمَّ إِلَى بَقِيَّةِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ،
فَتَلَقَّاهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ فِي السَّمَاوَاتِ بِحَسْبِ مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ،
حَتَّى مَرَّ بِمُوسَى الْكَلِيمِ فِي السَّادِسَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي السَّابِعَةِ،
ثُمَّ جَاوَزَ مَنْزِلَتَهُمَا ﷺوَعَلَيْهِمَا وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ،
حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُسْتَوًى يَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، أَيْ:
أَقْلَامَ الْقَدَرِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ،
وَ رَأَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، تَعَالَى، عَظَمَةٌ عَظِيمَةٌ، مِنْ فَرَاشٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْوَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ،
وَرَأَى هُنَالِكَ جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ، وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ،
وَرَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ،
وَرَأَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ
وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ بَانِي الْكَعْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَيْهِ؛
لِأَنَّهُ الْكَعْبَةُ السَّمَاوِيَّةُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
وَرَأَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ،

وَ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ هُنَالِكَ الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ،
ثُمَّ خَفَّفَهَا إِلَى خَمْسٍ؛ رَحْمَةً مِنْهُ وَلُطْفًا بِعِبَادِهِ.
وَفِي هَذَا اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ بِشَرَفِ الصَّلَاةِ وَعَظَمَتِهَا.
ثُمَّ هَبَطَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهَبَطَ مَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ
فَصَلَّى بِهِمْ فِيهِ لَمَّا حَانَتِ الصَّلَاةُ،
وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا الصُّبْحُ مِنْ يَوْمِئذٍ.
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَمَّهُمْ فِي السَّمَاءِ.
وَالَّذِي تَظَاهَرَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ أَنَّهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ،
وَلَكِنْ فِي بَعْضِهَا أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ دُخُولِهِ إِلَيْهِ.
وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا مَرَّ بِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْهُمْ جِبْرِيلَ وَاحِدًا وَاحِدًا وَهُوَ يُخْبِرُهُ بِهِمْ،
وَ هَذَا هُوَ اللَّائِقُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلًا مَطْلُوبًا إِلَى الْجَنَابِ الْعُلْوِيِّ لِيَفْرِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ، تَعَالَى.
ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ،
اجْتَمَعَ هُوَ وَإِخْوَانُهُ مِنَ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
ثُمَّ أَظْهَرَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْدِيمِهِ فِي الْإِمَامَةِ،
وَ ذَلِكَ عَنْ إِشَارَةِ جِبْرِيلَ عليه السلام لَهُ فِي ذَلِكَ.
ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ بِغَلَسٍ،
وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.
وَأَمَّا عَرْضُ الْآنِيَةِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ، أَوِ اللَّبَنِ وَالْخَمْرِ، أَوِ اللَّبَنِ وَالْمَاءِ، أَوِ الْجَمِيعِ -فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ،
وَجَاءَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ.
وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ كَالضِّيَافَةِ لِلْقَادِمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

(عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ)

فيديل لكم الكرة عليهم، فرحمهم و جعل لهم الدولة.

و توعدهم على المعاصي فقال: (وَإِنۡ عُدتُّمۡ)

إلى الإفساد في الأرض

(عُدۡنَاۚ)

إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك فسلط الله عليهم رسوله محمدا ﷺ

فانتقم الله به منهم،

فهذا جزاء الدنيا و ما عند الله من النكال أعظم و أشنع،

و لهذا قال: (وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا)

يصلونها و يلازمونها لا يخرجون منها أبدا.

***مُسْتَقَرًّا وَ مَحْصَرًا وَ سِجْنًا لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهُ.

***وَ قَالَ الْحَسَنُ: فِرَاشٌ وَ مِهَادٌ.

و فـــــي هــــذه الآيــــات:-

التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل،

فسنة الله واحدة لا تبدل و لا تغير.

و من نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين و الظلمة،

عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم

و أنهم إذا أقاموا كتاب الله و سنة رسوله،

مكن لهم في الأرض و نصرهم على أعدائهم.

إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عن شرف القرآن و جلالته و أنه

(إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)

أي: أعدل و أعلى من العقائد و الأعمال و الأخلاق،

فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس و أقومهم و أهداهم في جميع أموره.

(وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ)

من الواجبات و السنن،

(أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)

أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو.

(وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)

فالقرآن مشتمل على البشارة و النذارة

- و ذكر الأسباب التي تنال بها البشارة و هو الإيمان و العمل الصالح
- و التي تستحق بها النذارة و هو ضد ذلك.

وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

و هذا من جهل الإنسان و عجلته

حيث يدعو على نفسه و أولاده و ماله بالشر عند الغضب

و يبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير،

و لكن الله – بلطفه – يستجيب له في الخير و لا يستجيب له بالشر.

{ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ}

[يونس: 11]

***صحيح مسلم

(3009)سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ،

وَ هُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ،

وَ كَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ،

فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ،

فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ،

فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟»

قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ

قَالَ: «انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،

وَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَ لَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ،

لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»( )

(بطن بواط) قال القاضي رحمه الله قال أهل اللغة هو بالضم وهي رواية أكثر المحدثين وكذا قيده البكري وهو جبل من جبال جهينة (الناضح) هو البعير الذي يستقى عليه (يعقبه) هكذا هو في رواية أكثرهم يعقبه وفي بعضها يعتقبه وكلاهما صحيح يقال عقبه واعتقبه واعتقبنا كله من هذا (عقبة رجل) العقبة ركوب هذا نوبة وهذا نوبة قال صاحب العين هي ركوب مقدار فرسخين (فتلدن عليه بعض التلدن) أي تلكأ وتوقف (شأ لعنك الله) هكذا هو في نسخ بلادنا شأ وذكر القاضي عياض أن الرواة اختلفوا فيه فرواه بعضهم بالشين المعجمة كما ذكرناه وبعضهم بالمهملة قالوا و كلاهما كلمة زجر للبعير يقال شأشأت بالبعير بالمعجمة

***وَ إِنَّمَا يَحْمِلُ ابْنَ آدَمَ عَلَى ذَلِكَ عَجَلَتُهُ وَ قَلَقُهُ؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى {وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا}

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى: (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ)

أي:دالتين على كمال قدرة الله و سعة رحمته

و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

(فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ)

أي: جعلناه مظلما للسكون فيه و الراحة،

(وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً)

أي: مضيئة

(لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ)

في معايشكم و صنائعكم و تجاراتكم و أسفاركم.

(وَلِتَعْلَمُواْ)

و المهملة إذا زجرته و قلت له شأ]

بتوالي الليل و النهار و اختلاف القمر

(عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ)

فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم.

***فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ الزَّمَانُ كُلُّهُ نَسَقًا وَاحِدًا وَ أُسْلُوبًا مُتَسَاوِيًا
لَمَا عُرِفَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الْقَصَصِ: 71 -73]

وَ قَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الْفُرْقَانِ: 61، 62]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الْمُؤْمِنُونَ: 80]

وَ قَالَ: {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [الزُّمَرِ: 5]

وَ قَالَ تَعَالَى:{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: 96]

و قال تَعَالَى:{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: 37، 38] .

***ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِلَّيْلِ آيَةً، أَيْ:
عَلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا وَ هِيَ الظَّلَامُ وَ ظُهُورُ الْقَمَرِ فِيهِ،
وَ لِلنَّهَارِ عَلَامَةً،
وَ هِيَ النُّورُ وَ ظُهُورُ الشَّمْسِ النَّيِّرَةِ فِيهِ،
وَ فَاوَتَ بَيْنَ ضِيَاءِ الْقَمَرِ وَ بُرْهَانِ الشَّمْسِ لِيُعْرَفَ هَذَا مِنْ هَذَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ} إِلَى قَوْلِهِ:

{لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يُونُسَ: 5، 6]

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: 189]

(وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا)

أي: بينا الآيات و صرفناه لتتميز الأشياء

و يستبين الحق من الباطل كما قال تعالى:

{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام: 38]

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾

(وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ)

و هذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه،

أي: ما عمل من خير و شر يجعله الله ملازما له لا يتعداه إلى غيره،

فلا يحاسب بعمل غيره و لا يحاسب غيره بعمله.

***وَ الْمَقْصُودُ أَنَّ عَمَلَ ابْنِ آدَمَ مَحْفُوظٌ عَلَيْهِ، قَلِيلَهُ وَ كَثِيرَهُ،
وَ يُكْتَبُ عَلَيْهِ لَيْلًا وَ نَهَارًا،صَبَاحًا وَ مَسَاءً.

(وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ)

فيه ما عمله من الخير و الشر حاضرا صغيره و كبيره

***نَجْمَعُ لَهُ عَمَلَهُ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ يُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
إِمَّا بِيَمِينِهِ إِنْ كَانَ سَعِيدًا، أَوْ بِشِمَالِهِ إِنْ كَانَ شَقِيًّا

{مَنشُورًا }

أَيْ: مَفْتُوحًا يَقْرَؤُهُ هُوَ وَ غَيْرُهُ،
فِيهِ جَمِيعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِ عُمْرِهِ إِلَى آخِرِهِ
{يُنَبَّأُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [الْقِيَامَةِ: 13 -15]

و يقال له:

(ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ)

*الميسر:يقال له: اقرأ كتاب أعمالك، فيقرأ،

و إن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا

(كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)

***الميسر:تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء**

❍و هذا من أعظم العدل و الإنصاف أن يقال للعبد:

حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

*** إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُظْلَمْ وَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكَ غَيْرُ مَا عَمِلْتَ لِأَنَّكَ ذَكَرْتَ جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْكَ،

وَ لَا يَنْسَى أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا كَانَ مِنْهُ،

مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾

(مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ)

أي:هداية كل أحد و ضلاله لنفسه لا يحمل أحد ذنب أحد،

و لا يدفع عنه مثقال ذرة من الشر،

و الله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدا

حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة.

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ)

***لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ، وَ لَا يَجْنِي جانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ}[فَاطِرٍ: 18]

***وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [الْعَنْكَبُوتِ: 13]

وَ قَوْلُهُ تَعَالَى{وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [النَّحْلِ: 25]
فَإِنَّ الدُّعَاةَ عَلَيْهِمْ إِثْمُ ضَلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ،
وَ إِثْمٌ آخَرُ بِسَبَبِ مَا أَضَلُّوا مَنْ أَضَلُّوا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِ أُولَئِكَ،
وَ لَا يَحْمِلُوا عَنْهُمْ شَيْئًا.
وَ هَذَا مِنْ عَدْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.
وَ كَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}
إِخْبَارٌ عَنْ عَدْلِهِ تَعَالَى،
وَ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ} [الْمُلْكِ: 8، 9]

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)

***الميسر:و لا يعذب الله أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب.**

❍و أما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه.

❍و استدل بهذه الآية على أن أهل الفترات و أطفال المشركين،

لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولا لأنه منزه عن الظلم.

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

(وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً)

يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة

و يستأصلها بالعذاب

(أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا)

أمرا قدريا

(فَفَسَقُواْ فِيهَا)

و اشتد طغيانهم،

***فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ،

قَالُوا:مَعْنَاهُ: أَنَّهُ سَخَّرَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْفَوَاحِشِ فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ.

(فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ)

أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها

(فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا)

(وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ)

و هؤلاء أمم كثيرة أبادهم الله بالعذاب من بعد قوم نوح كـــــــ:-

عــــــاد و ثمـــــــود و قوم لـــــــوط و غيرهم

ممن عاقبهم الله لما كثر بغيهم و اشتد كفرهم أنزل الله بهم عقابه العظيم.

(وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا)

فلا يخافوا منه ظلما و أنه يعاقبهم على ما عملوه.

الاعجاز في (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)

الرابط

قال تعالى: { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً } [الإسراء:12] .

و قد ضُرب بهما مثل للكفر و الإيمان

(هذا ما رآه ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير")

كما روي من قبل عن قتادة و مجاهد(1)

بل إن ابن عباس قال: " كان القمر يضيء كما تضيء الشمس"(2).

ذكر ذلك في مخطوطات أهل الكتاب:

وقد دُهشت حين قرأت في بعض كتب اليهود المخفية " Apocalypse of Baruch" (3) أن القمر كان في الماضي مضيئًا بذاته إلا أن هذا الكتاب ذكر ذلك في إطار خرافة حيث ذكر أن السماوات والأرض حزنوا لخروج آدم من الجنة إلا القمر الذي ضحك عليه فعاقبه الله بطمس ضوئه!!.

العلم الحديث:

ولكن ماذا عن العلم الحديث ؟

هل يذكر هذه الظاهرة ؟

الإجابة: نعم،

فقد كان سطح القمر ملتهبًا يومًا ما في يوم كانت فيه الأرض في حالة صلبة هذا ما يقوله العلم

ذلك لأن كل المجموعة الشمسية كانت عبارة عن كرات نارية

ثم تصلبت منذ حوالي 4.6بليون سنة،

لكن هذه الأجرام لم تتصلب في آن واحد،

بل كان هناك تتابع في هذه العملية .

و من تلك الأجرام ما بقي كما هو ملتهبًا (الشمس)،

و الأجرام التي تتصلب أولًا هي الأعلى كثافة،

و قد تبين أن كوكب الأرض هو الأعلى كثافة 5.52،

يتبعه عطارد 5.4،

أما القمر فكثافته 3.35جم/س^2 .

إذًا فقد تكثفت الأرض قبل القمر (و كانت الشمس و لا زالت ملتهبة) .

كما أن هناك ظاهرتان ساهمتا في تأخير تصلب القمر:

<u>الظاهرة الأولى</u> :

أن القمر لم يتكثف مثل الأرض ذرة بذرة و طبقة طبقة،

بل إنه عبارة عن تجميع لأجزاء متكثفة من السديم .

<u>أما الظاهرة الثانية:</u>

و هي الأهم فهي نمو جاذبية القمر مع تصلبه نتيجة زيادة حجمه،

مما جعل سرعة اصطدام النيازك المصطدمة به عالية جدًّا

فولَّد ذلك درجة حرارة فائقة،

مما أوجد ظاهرة فريدة إذ صارت الطبقة الخارجية للقمر

(150- 200كم) ملتهبة بينما لب القمر متصلب(4).

<u>الخلاصة:</u>

* إذًا لقد سبق القرآن كل هؤلاء في ذكر حقيقة أن القمر كان يومًا مضيئًا بذاته،
و لم يقع في خطأ كتب اليهود التي ذكرت ذلك في إطار خرافة كما تقدم .
* يدعم ما ذهبنا إليه قوله تعالى في آخر الفقرة:
{ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ }
فمن المعروف أن السنة إما أن تكون شمسية أو قمرية .
ولو كان القمر مستمرًّا في الإضاءة الذاتية لما أمكن للإنسان حساب السنين .
ذلك للالتباس بين ضوئه وضوء الشمس،
فكأنما سيكون هناك شمسان .
* وقد كان القرآن معجزًا كذلك في موضع ذكر هذه الحقيقة إذ سبقها ذكر هلاك بني إسرائيل مرتين:{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً 4 فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً 5 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً 6 إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً 7 عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً}
[الإسراء: 4 - 8] .
* قوله تعالى:{ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ .. }
أي: باتباعكم نبي آخر الزمان المذكور عندكم،

و هو النبي محمد ﷺتكلمنا في مقال سابق عن نبوءة في مخطوطات البحر الميت عن ظهور النبي ﷺبعد الهلاكين سالفي الذكر لليهود .

* أي أن النبي المنتظر وأتباعه هم ضوء الشمس المشرق،

و أن نبوءة و ملك اليهود قد ذهبا كما ذهب ضوء القمر .

والله من وراء القصد.

بقلم هشام طلبة

باحث وكاتب في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

يمكن التواصل مع المؤلف:

الإيميل : tolba_hesham@yahoo.com

الهوامش:

(1) راجع تفسير الآية 13 من سورة الإسراء (50/5) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م .

(2) المصدر السابق .

(3) The Legends of The Jews " Adam 92,charles.

(4) مستخلص من كتاب:

" Physical Geology " 2nd Edition – Flint & Skinner – Editor: John Wiley & Sons. Lirbrary of congress cataloging in publication data: Flint, Richard Foster,1902 – 1976.Physical Geology P.460- 463 – 467 – 472.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا
مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ
عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ
دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ
أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا
مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

يخبر تعالى أن (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ)

الدنيا

المنقضية الزائلة فعمل لها و سعى،

و نسي المبتدأ أو المنتهى

فـــــ(عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ)

يعجل له من حطامها و متاعها ما يشاؤه

و يريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ

و لكنه متاع غير نافع و لا دائم له.

ثم يجعل له في الآخرة (جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا)

أي: يباشر عذابها

(مَذْمُومًا)

أي: في حالة الخزي و الفضيحة و الذم من الله و من خلقه،

***فِي حَالِ كَوْنِهِ مَذْمُومًا عَلَى سُوءِ تَصَرُّفِهِ وَ صَنِيعِهِ
إِذِ اخْتَارَ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي

(مَّدۡحُورٗا)

مبتعد عن رحمة الله

فيجمع له بين العذاب و الفضيحة.

(وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ)

فرضيها و آثرها على الدنيا

(وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا)

الذي دعت إليه الكتب السماوية و الآثار النبوية

فعمل بذلك على قدر إمكانه

(وَهُوَ مُؤۡمِنٞ)

بالله وملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر.

***وَ قَلْبُهُ مُؤْمِنٌ، أَيْ: مُصَدِّقٌ بِالثَّوَابِ وَ الْجَزَاءِ

(فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا)

أي: مقبولا منمى مدخرا لهم أجرهم و ثوابهم عند ربهم.

(كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ)

و مع هذا فلا يفوتهم نصيبهم من الدنيا

فكلا يمده الله منها لأنه عطاؤه و إحسانه.

(وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا)

أي: ممنوعا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضله و إحسانه.

(ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ)

في الدنيا بسعة الأرزاق و قلتها،

و اليسر و العسر و العلم و الجهل و العقل و السفه

و غير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

(وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا)

فلا نسبة لنعيم الدنيا و لذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه.

فكم بين من هو في الغرف العاليات و اللذات المتنوعات و السرور

و الخيرات و الأفراح ممن هو يتقلب في الجحيم و يُعَذَبُ بالعذاب الأليم،

و قد حل عليه سخط الرب الرحيم

و كل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده.

*** صحيح البخاري

3256 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ،
كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ،
لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ

قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ صَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»( )

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ٢٢﴾

(لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ)

أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة

و لا تشرك بالله أحدا منهم

(فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا)

فإن ذلك داع للذم و الخذلان،

فالله و ملائكته و رسله قد نهوا عن الشرك

و ذموا من عمله أشد الذم و رتبوا عليه من الأسماء المذمومة،

و الأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفا و أقبحهم نعتا.

و له من الخذلان في أمر دينه و دنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه،

(مَّخْذُولًا)

فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به

و لا أحد من الخلق ينفع أحدا إلا بإذن الله،

كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم و الخذلان،

(يتراءون) يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهي العلية. (الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الأفق) أطراف السماء. (لتفاضل ما بينهم) لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة]

فمن وحده و أخلص دينه لله و تعلق به دون غيره

فإنه محمود معان في جميع أحواله.

***لِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَا يَنْصُرُكَ، بَلْ يَكِلُكَ إِلَى الَّذِي عَبَدْتَ مَعَهُ،
وَ هُوَ لَا يَمْلِكُ لَكَ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا؛لِأَنَّ مَالِكَ الضر و النفع هو الله وحده

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

لما نهى تعالى عن الشرك به أمر بالتوحيد فقال:

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ)

قضـــــاء دينيـــــًا و أمـــــرا شــــــرعيـــــًا

(رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ)

أحدا من أهل الأرض و السماوات الأحياء و الأموات.

(إِلَّآ إِيَّاهُ)

لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال،

و له من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه،

و هو المنعم بالنعم الظاهرة و الباطنة الدافع لجميع النقم الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور

فهو المتفرد بذلك كله و غيره ليس له من ذلك شيء.

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ)

أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي و الفعلي

لأنهما سبب وجود العبد و لهما من المحبة للولد

و الإحسان إليه و القرب ما يقتضي تأكد الحق و وجوب البر.

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[لُقْمَانَ: 14]

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا)

أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما و يحتاجان من اللطف و الإحسان ما هو معروف.

(فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ)

و هذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، و المعنى لا تؤذهما أدنى أذية.

(وَلَا تَنْهَرْهُمَا)

أي: تزجرهما و تتكلم لهما كلاما خشنا،

(وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)

بلفظ يحبانه و تأدب و تلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما و تطمئن به نفوسهما،

و ذلك يختلف باختلاف الأحوال و العوائد و الأزمان.

(وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ)

أي: تواضع لهما ذلا لهما و رحمة و احتسابا للأجر

لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما،

و نحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد.

***محاسن التأويل:**

تذلّل لهما و تواضع.

و فيه استعارة مكنية و تخييلية.

فشبه الذل بطائر تشبيها مضمرا،

و أثبت له الجناح تخييلا،

و الخفض ترشيحا.

و (خفضه) ما يفعله إذا ضم أفراخه للتربية.

أو استعارة تصريحية في المفرد و هو الجناح،

و الخفض ترشيح.

و (الجناح) الجانب كما يقال (جناحا العسكر)

و خفضه مجاز.

كما يقال (ليّن الجانب) و (منخفض الجانب)

و إضافة الجناح إلى الذل للبيان.

لأن صفة مبيّنة.

أي جناحك الذليل.

و فيه مبالغة لأنه وصف بالمصدر.

فكأنه جعل الجناح عين الذل.

أو التركيب استعارة تمثيلية.

فيكون مثلا لغاية التواضع.

و سر ذكر الجناح وخفضه، تصوير الذل كأنه مشاهد محسوس.

ومِنَ من قوله تعالى: (مِنَ الرَّحْمَةِ)

ابتدائية على سبيل التعليل.

أي من فرط رحمتك لهما،و عطفك عليهما،لكبرهما و افتقارهما اليوم، إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس.

و افتقار المرء إلى من كان مفتقرا له،

غاية في الضراعة و المسكنة. فيرحمه أشد رحمة.

(وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا)

أي: ادع لهما بالرحمة أحياء و أمواتا،

(كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)

جزاء على تربيتهما إياك صغيرا.

و فهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق،

و كذلك من تولى تربية الإنسان في دينه و دنياه تربية صالحة غير الأبوين

فإن له على من رباه حق التربية.

*** صحيح مسلم

(2551)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»

قِيلَ:مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ

قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»( )

***سنن الترمذي ت بشار

1897 - عن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَبَرُّ؟

قَالَ: أُمَّكَ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: أُمَّكَ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: أُمَّكَ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ.

***سنن النسائي

2532 - عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ

فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ

وَ هُوَ يَقُولُ:يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا،

وَ ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ، وَ أَبَاكَ، وَ أُخْتَكَ، وَ أَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ، أَدْنَاكَ "

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

(رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ)

أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير و شر

و هو لا ينظر إلى أعمالكم و أبدانكم

(رغم) قال أهل اللغة معناه ذل وقيل كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها
وقيل الرغم كل ما أصاب الأنف يؤذيه]

و إنما ينظر إلى قلوبكم و ما فيها من الخير و الشر.

(إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ)

بأن تكون إرادتكم و مقاصدكم دائرة على مرضاة الله

و رغبتكم فيما يقربكم إليه و ليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله.

(فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ)

أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات

(غَفُورًا)

فمن اطلع الله على قلبه

و علم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه و محبته و محبة ما يقرب إليه

فإنه و إن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطبائع البشرية

فإن الله يعفو عنه و يغفر له الأمور العارضة غير المستقرة.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾

إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى: (وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ)

من البر و الإكرام الواجب و المسنون

و ذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال و الأقارب و الحاجة و عدمها

و الأزمنة.

***صحيح البخاري

2067 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»( )

(وَٱلۡمِسۡكِينَ)

آته حقه من الزكاة و من غيرها لتزول مسكنته

(وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ)

و هو الغريب المنقطع به عن بلده،

(وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا)

***لَمَّا أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَسَطًا،

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الْفُرْقَانِ: 67] .

❍فيعطي الجميع من المال على وجه لا يضر المعطي

و لا يكون زائدا على المقدار اللائق

***وَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: التَّبْذِيرُ: الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ.

فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه و أخبر:

(إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ)

لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة

(يبسط) يوسع. (ينسأ) يؤخر. (أثره) بقية عمره. (فليصل رحمه) فليبر بأقاربه]

فيدعو الإنسان إلى البخل و الإمساك فإذا عصاه،دعاه إلى الإسراف و التبذير.

و الله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور و أقسطها و يمدح عليه،

كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار

{ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: 67]

و قال هنا:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}[الإسراء: 29]

كناية عن شدة الإمساك و البخل.

(وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)

فتنفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي.

(فَتَقْعُدَ)

إن فعلت ذلك

(مَلُومًا)

أي: تلام على ما فعلت

(مَحْسُورًا)

أي:حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال و لا خلفه مدح و ثناء.

و هذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة و الغنى،

*****فِي التَّبْذِيرِ وَ السَّفَهِ وَ تَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ وَ ارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ؛وَ لِهَذَا قَـــالَ:-**

(وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا)

*****جُحُودًا؛ لِأَنَّهُ أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ؛**

بَلْ أَقْبَلَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ مُخَالَفَتِهِ.

❍فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال:

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال:

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا)

أي: تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر.

(فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا)

***بالوعد

❍أي: لطيفا برفق و وعد بالجميل عند سنوح الفرصة و اعتذار بعدم الإمكان في الوقت الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم

كما قال تعالى:{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى}

[البقرة: 263]

❍و هذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم بانتظار الرحمة و الرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة،

❍و كذلك وعدهم بالصدقة و المعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة،

❍و لهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير و ينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك و لعل الله ييسر له بسبب رجائه .

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ)

***لَا تَكُنْ بَخِيلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا،
كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [الْمَائِدَةِ: 64]
أَيْ نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ، تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.

(وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ)

***وَ لَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ،
وَ تُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ

(فَتَقْعُدَ مَلُومًا)

وَ هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ أَيْ: -
فَتَقْعُدَ إِنْ بَخِلْتَ مَلُومًا، يَلُومُكَ النَّاسُ وَ يَذُمُّونَكَ وَ يَسْتَغْنُونَ عَنْكَ
كَمَا قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلمى فِي الْمُعَلَّقَةِ:
وَ مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَيَبْخَلْ بِمَالِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَ يُذْمَمِ ( )

(مَّحْسُورًا)

وَ مَتَى بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ،قَعَدْتَ بِلَا شَيْءٍ تُنْفِقُهُ، فَتَكُونَ كَالْحَسِيرِ،
وَ هُوَ: الدَّابَّةُ الَّتِي قَدْ عَجَزَتْ عَنِ السَّيْرِ، فَوَقَفَتْ ضَعْفًا وَ عَجْزًا
فَإِنَّهَا تُسَمَّى الْحَسِيرَ،

***الميسر:نادماً على تبذيرك و ضياع مالك.**

*** صحيح البخاري
5352 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ

*** صحيح البخاري

البيت في ديوانه (ص30) .

1442 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ:"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا،
وَ يَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "
*****صحيح مسلم**
(2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:
«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،
وَ مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا،
وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»( )
*****مسند أحمد ط الرسالة**
26912 - عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
لَيْسَ لِي إِلَّا مَا أَدْخَلَ الزُّبَيْرُ بَيْتِي؟
قَالَ: " أَنْفِقِي، وَ لَا تُوكِي، فَيُوكَى عَلَيْكِ "

(ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين أحدهما معناه أنه يبارك فيه و يدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة و الثاني أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة (وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه أيضا وجهان أحدهما على ظاهره ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه أيضا وجهان أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه و الثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة]

(إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ)

ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدره و يضيقه على من يشاء حكمة منه،

(إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا)

فيجزيهم على ما يعلمه صالحا لهم و يدبرهم بلطفه و كرمه.

***خَبِيرٌ بَصِيرٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى وَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ

***وَ قَدْ يَكُونُ الْغِنَى فِي حَقِّ بَعْضِ النَّاسِ اسْتِدْرَاجًا، وَ الْفَقْرُ عُقُوبَةً عِيَاذًا بِاَللَّهِ مِنْ هَذَا وَ هَذَا.

وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾

(وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ)

و هذا من رحمته بعباده حيث كان أرحم بهم من والديهم،

فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم

(خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ)

خوفا من الفقر و الإملاق و تكفل برزق الجميع.

(إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا)

و أخبر أن قتلهم كان خطأ كبيرا أي:

من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب و العقوق العظيم

و التجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يجر منهم ذنب و لا معصية.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾

(وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ)

و النهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله

لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته و دواعيه

فإن:« من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه »

خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه.

و وصف الله الزنا و قبحه (إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ)

أي: إثما يستفحش في الشرع و العقل و الفطر

لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله و حق المرأة و حق أهلها أو زوجها

و إفساد الفراش و اختلاط الأنساب و غير ذلك من المفاسد.

و قـــــوله: (وَسَآءَ سَبِيلٗا)

أي:بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم.

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾

(وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ)

هذا شامل لكل نفس

(ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ)

قتلها من صغير و كبير و ذكر و أنثى و حر و عبد و مسلم و كافر له عهد.

(إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ)

كالنفس بالنفس و الزاني المحصن و التارك لدينه المفارق للجماعة

و الباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل.

(وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومًا)

أي: بغير حق

(فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ)

و هو أقرب عصباته و ورثته إليه

(سُلۡطَٰنًا)

أي: حجة ظاهرة على القصاص من القاتل،

و جعلنا له أيضا تسلطا قدريا على ذلك،

و ذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص كالعمد العدوان و المكافأة.

***سُلْطَةً عَلَى الْقَاتِلِ، فَإِنَّهُ بِالْخِيَارِ فِيهِ إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ قَودًا،
وَ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ عَلَى الدِّيَةِ،
وَ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مَجَّانًا، كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ.

(فَلَا يُسۡرِف)

الولي

(فِي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا)

***أَيْ أَنَّ الْوَلِيَّ مَنْصُورٌ عَلَى الْقَاتِلِ شَرْعًا، وَ غَالِبًا قَدَرًا.

و الإسراف:–

مجاوزة الحد إما أن يمثل بالقاتل أو يقتله بغير ما قتل به أو يقتل غير القاتل.

و فـــــي هـــــذه الآيـــــة :–

1–دليل إلى أن الحق في القتل للولي

فلا يقتص إلا بإذنه و إن عفا سقط القصاص.

2–و أن ولي المقتول يعينه الله على القاتل و من أعانه حتى يتمكن من قتله.

*** سنن ابن ماجه

2534 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ،

إِلَّا أَحَدُ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ:

النَّفْسُ بِالنَّفْسِ،

وَ الثَّيِّبُ الزَّانِي،

وَ التَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ "( )

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ

إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾

(والثيب الزاني) أي الزاني المحصن. (والتارك لدينه) أي دين الإسلام.

(المفارق للجماعة) أي جماعة المسلمين

(وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ)

هذا من لطفه و رحمته تعالى باليتيم الذي فقد والده

و هو صغير غير عارف بمصلحة نفسه و لا قائم بها

أن أمر أولياءه بحفظه و حفظ ماله و إصلاحه و أن لا يقربوه

(إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)

من التجارة فيه و عدم تعريضه للأخطار، و الحرص على تنميته،

(حَتَّىٰ)

و ذلك ممتد إلى أن

(يَبۡلُغَ)

اليتيم

(أَشُدَّهُۥۚ)

أي: بلوغه و عقله و رشده،

فإذا بلغ أشده زالت عنه الولاية و صار ولي نفسه و دفع إليه ماله.

كما قال تعالى:{ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء: 6]

(وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ)

الذي عاهدتم الله عليه و الذي عاهدتم الخلق عليه.

(إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا)

أي: مسئولين عن الوفاء به و عدمه،

فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل و إن لم تفوا فعليكم الإثم العظيم.

وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾

(وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ)

***الميسر:و زِنوا بالميزان السوي**

و هذا أمر بالعدل و إيفاء المكاييل و الموازين بالقسط من غير بخس

و لا نقص.

و يؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مثمن أو معقود عليه

و الأمر بالنصح و الصدق في المعاملة.

(ذَٰلِكَ خَيۡرٞ)

من عدمه

***لكم في معاشكم و معادكم

(وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا)

أي: أحسن عاقبة به يسلم العبد من التبعات و به تنزل البركة.

وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ

كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾

(وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ)

أي:و لا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله و تفعله،

فلا تظن ذلك يذهب لا لك و لا عليك،

***صحيح البخاري

6066 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«إِيَّاكُمْ وَ الظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ

***صحيح البخاري

7043 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

«إِنَّ مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ»( )

***صحيح البخاري

7042 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَ لَنْ يَفْعَلَ

(إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا)

فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله و فعله

و عما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا،

و ذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله و إخلاص الدين له

و كفها عما يكرهه الله تعالى.

وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧

(أفرى الفرى) أشد الكذب وأكذب الكذبات والفرى جمع الفرية وهي الكذبة الفادحة التي يتعجب منها. (يري عينه) يدعي أنه رأى رؤيا و هو لم ير شيئا]

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾

يقول تعالى: (وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ)

أي: كبرا و تيها و بطرا متكبرا على الحق و متعاظما على الخلق.

(إِنَّكَ)

في فعلك ذلك

(لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ)

***لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِمِشْيَتِكَ

(وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا)

في تكبرك بل تكون حقيرا عند الله و محتقرا عند الخلق مبغوضا ممقوتا

قد اكتسبت أشر الأخلاق و اكتسيت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم.

*** صحيح البخاري

5789 عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»( )

(رجل) من الأمم السابقة. (حلة) ثوبان من نوع واحد. (تعجبه نفسه) ينظر إليها بعين الكمال وينسى نعمة الله تعالى عليه محتقرا لما سواه من الناس (مرجل جمته) مسرح رأسه والجمة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين أو هو مجمع شعر الرأس. (خسف) غارت به الأرض وغيبه الله فيها (يتجلجل) يتحرك وينزل مضطربا وفي رواية (يتجلل) تغطيه الأرض]

(كُلُّ ذَلِكَ)

المذكور الذي نهى الله عنه فيما تقدم من قوله:

(وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)

و النهي عن عقوق الوالدين و ما عطف على ذلك

(كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)

أي: كل ذلك يسوء العاملين و يضرهم و الله تعالى يكرهه و يأباه.

***فَقَبِيحُهُ مَكْرُوهٌ عِنْدَ اللَّهِ

الاعجاز العلمي في :- (إنك لن تخرق الأرض)

إذا كان المقصود من هذه الآيات الكريمة إشعار كل من الجن والإنس بعجزهما عن النفاذ من أقطار كل من الأرض علي حدة، والسماوات علي حدة، فإن المعارف الحديثة تؤكد ذلك، لأن أقطار الأرض تتراوح بين)

(12756 كيلو مترا بالنسبة إلي متوسط قطرها الاستوائي

(12713 كيلو مترا بالنسبة إلي متوسط قطرها القطبي،

و ذلك لأن الأرض ليست تامة الاستدارة لانبعاجها قليلا عند خط الاستواء، و تفلطحها قليلا عند القطبين.

و يستحيل علي الإنسان اختراق الأرض من أقطارها لارتفاع كل من الضغط و الحرارة باستمرار في اتجاه المركز مما لا تطيقه القدرة البشرية،

و لا التقنيات المتقدمة التي حققها إنسان هذا العصر

فعلي الرغم من التطور المذهل في تقنيات حفر الآبار العميقة التي طورها الإنسان بحثا عن النفط والغاز الطبيعي

فإن هذه الأجهزة العملاقة لم تستطع حتى اليوم تجاوز عمق 14 كيلو مترا من الغلاف الصخري للأرض،

و هذا يمثل0,2% تقريبا من طول نصف قطر الأرض الاستوائي،

وعند هذا العمق تعجز أدوات الحفر عن الاستمرار في عملها لتزايد الضغط و للارتفاع الكبير في درجات الحرارة إلي درجة قد تؤدي إلي صهر تلك الأدوات،

فمن الثابت علميا أن درجة الحرارة تزداد باستمرار من سطح الأرض في اتجاه مركزها حتى تصل إلي ما يقرب من درجة حرارة سطح الشمس المقدرة بستة آلاف درجة مئوية حسب بعض التقديرات،

ومن هنا كان عجز الإنسان عن الوصول إلي تلك المناطق الفائقة الحرارة والضغط، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطبا الإنسان:)

(وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً)

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ
مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ
قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ
كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ
أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾
ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾

(ذَٰلِكَ)

الذي بيناه و وضحناه من هذه الأحكام الجليلة

(مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ)

فـــــإن الحكمـــــــة:-

1-الأمر بمحاسن الأعمال و مكارم الأخلاق

2-و النهي عن أراذل الأخلاق و أسوأ الأعمال.

و هذه الأعمال المذكورة في هذه الآيات من الحكمة العالية التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في أشرف الكتب ليأمر بها أفضل الأمم فهي من الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا.

ثم ختمها بالنهي عن عبادة غير الله كما افتتحها بذلك فقال:

(وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ)

أي: خالدا مخلدا فإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار.

(مَلُومًا)

أي: قد لحقتك اللائمة

*** تَلُومُكَ نَفْسُكَ وَ يَلُومُكَ اللَّهُ وَ الْخَلْقُ

(مَّدۡحُورًا)

قد لحقتك اللعنة و الذم من الله و ملائكته و الناس أجمعين.

***مَطْرُودًا

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

و هذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات

فقال: (أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ)

أي: اختار لكم الصفوة و القسم الكامل

(وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ)

و اتخذ لنفسه من الملائكة إناثا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله.

(إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)

فيه أعظم الجرأة على الله حيث نسبتم له الولد المتضمن لحاجته

و استغناء بعض المخلوقات عنه

و حكمتم له بأردأ القسمين،

و هن الإناث و هو الذي خلقكم و اصطفاكم بالذكور

فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟)

يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي:

نَوَّع الأحكام و وضحها و أكثر من الأدلة و البراهين على ما دعا إليه،

و وعظ و ذكر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه و ما يضرهم فيدعوه.

(وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)

***عَنِ الْحَقِّ، وَ بُعْدًا مِنْهُ.

❍و لكن أبى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق و محبتهم

ما كانوا عليه من الباطل

حتى تعصبوا لباطلهم و لم يعيروا آيات الله لهم سمعا و لا ألقوا لها بالا.

❍و من أعظم ما صرف فيه الآيات و الأدلة التوحيد الذي هو أصل الأصول،

فأمر به و نهى عن ضده و أقام عليه من الحجج العقلية و النقلية شيئا كثيرا

بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكا و لا ريبا.

❍و من الأدلة على ذلك هذا الدليل العقلي الذي ذكره هنا

فقال: (قُل)

للمشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر:

(قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ)

أي: على موجب زعمهم و افترائهم

(إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا)

أي: لاتخذوا سبيلا إلى الله بـــــــ:

1-عبـــــادته

2-و الإنـــــابة إليه

3-و التقـــــرب

4-و ابتغــــاء الوسيلة،

فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلها مع الله؟!

هل هذا إلا من أظلم الظلم و أسفه السفه؟

فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)

و كقوله تعالى:(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

❍و يحتمل أن المعنى في قوله:

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا)

أي: لطلبوا السبيل و سعوا في مغالبة الله تعالى

فإما أن يعلوا عليه فيكون من علا و قهر هو الرب الإله،

فأما و قد علموا أنهم يقرون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلم اتخذوها و هي بهذه الحال؟

فيكون هذا كقوله تعالى:

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون: 91]

(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)

أي: تقدس و تنزه و علت أوصافه

(عَمَّا يَقُولُونَ)

من الشرك به و اتخاذ الأنداد معه

(عُلُوًّا كَبِيرًا)

فعلا قدره و عظم و جلت كبرياؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة

فقد ضل من قال ذلك ضلالا مبينا و ظلم ظلما كبيرا.

لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة

و صغرت لدى كبريائه السماوات السبع و من فيهن و الأرضون السبع

و من فيهن

(وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)

و افتقر إليه العالم العلوي والسفلي فقرا ذاتيا لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات.

هذا الفقر بجميع وجوهه فقر من جهـــــــة:-

1-الخلــــــق و الــــــرزق و التــــــدبير،

2–و فقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم و محبوبهم الذي إليه يتقربون و إليه في كل حال يفزعون، و لهذا قال:

(تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ)

من حيوان ناطق و غير ناطق و من أشجار و نبات و جامد و حي و ميت

(إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ)

بلسان الحال و لسان المقال.

(وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ)

أي:تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

*** صحيح البخاري

3579 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً،
وَ أَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا،
كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ،
فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ»
فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ
ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَ البَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»
فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَ لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَ هُوَ يُؤْكَلُ( )

(الآيات) المعجزات وهي الأمور الخارقة للعادة.(بركة) فضلا وتكرما من الله تعالى والبركة النماء والزيادة.(سفر) قيل في الحديبية وقيل في خيبر. (تخويفا) لأجل التخويف.

***وَ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ}
قَالَ:الْأُسْطُوَانَةُ تُسَبِّحُ، وَ الشَّجَرَةُ تُسَبِّحُ -الْأُسْطُوَانَةُ: السَّارِيَةُ.
وَ يَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ آيَةُ السَّجْدَةِ أَوَّلَ سُورَةِ الْحَجِّ.

(إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

حيث لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولا تكاد السماوات و الأرض تتفطر منه و تخر له الجبال

و لكنه أمهلهم و أنعم عليهم و عافاهم و رزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل و يغفر لهم ذنبهم،

فلولا حلمه و مغفرته لسقطت السماوات على الأرض و لما ترك على ظهرها من دابة.

***صحيح البخاري

4686 - عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»
قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[هود: 102]( )

(اطلبوا .)ابحثوا عن شيء من ماء بقي لدى واحد منكم.(حي على الطهور) تعالوا وتطهروا بالماء. (المبارك) الذي نما وزاد بفضل الله تعالى ففيه خير و نور.(كنا) على عهد رسول الله ﷺ
(ليملي) ليمهل. (لم يفلته) لم يخلصه و لم يتركه حتى يستوفي عقابه.
(و كذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم و أخذهم بالعذاب.
(أخذ ربك) إهلاكه وعذابه. (أخذ القرى) أخذ أهلها

***و قَالَ اللَّهُ تَعالَى:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الْحَجِّ: 48] .

وَ مَنْ أَقْلَعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ عِصْيَانٍ،

وَ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ وَ تَابَ إِلَيْهِ، تَابَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

[النِّسَاءِ: 110] .

و قال هاهنا (إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)

كَمَا قَالَ فِي آخِرِ فَاطِرٍ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}إِلَى أَنْ قَالَ:

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}[فَاطِرٍ: 41 -45].

وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾

يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه

و أعرضوا عنه أنه يحول بينهم و بين الإيمان فقـــــال:

(وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ)

الذي فيه الوعظ و التذكير و الهدى و الإيمان و الخير و العلم الكثير.

(جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا)

***بِمَعْنَى سَاتِرٍ، كَمَيْمُونٍ وَ مَشْئُوم، بِمَعْنَى:-
يَامِنٍ وَ شَائِمٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ يَمنهم و شَأَمَهم.

يسترهم عن فهمه حقيقة و عن التحقق بحقائقه

و الانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير.

(وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً)

***جَمْعُ "كِنَانٍ"، الَّذِي يَغْشَى الْقَلْبَ

(أَن يَفْقَهُوهُ)

*** لِئَلَّا يَفْهَمُوا الْقُرْآنَ

أي: أغطية و أغشية لا يفقهون معها القرآن

بل يسمعونه سماعا تقوم به عليهم الحجة،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}[فُصِّلَتْ: 5]

أَيْ: مَانِعٌ حَائِلٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا مِمَّا تَقُولُ شَيْءٌ.

(وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ)

أي: صمما عن سماعه،

***وَ هُوَ الثقْل الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ سَمَاعًا يَنْفَعُهُمْ وَ يَهْتَدُونَ بِهِ.

(وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ)

داعيا لتوحيده ناهيا عن الشرك به.

(وَلَّوْا)

***أَدْبَرُوا رَاجِعِينَ

{عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا}

نُفُورٌ: جَمْعُ نَافِرٍ،

كَقُعُود جَمْعُ قَاعِدٍ،

وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ غَيْرِ الْفِعْلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

❍من شدة بغضهم له و محبتهم لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى:

{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الزمر: 45]

(نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ)

أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن

❍لأننا نعلم أن مقاصدهم سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقدحوا به

❍و ليس استماعهم لأجل الاسترشاد و قبول الحق

و إنما هم متعمدون على عدم اتباعه،

و من كان بهذه الحالة لم يفده الاستماع شيئا

و لهذا قال: (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ)

أي: متناجين

﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

في مناجاتهم:

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴾

فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم

و قد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال

و أنه يهذي لا يدري ما يقول.

*** قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ،

أَنَّهُ حُدث أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ،

وَ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيق بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيَّ، حَلِيفَ ابْنِ زُهْرَةَ،

خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَ هُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ،

فأخذ كل واحد مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ،

و كلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ،

حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تفرَّقُوا.

حَتَّى إِذَا جَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا،

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا،

فَلَوْ رَآكُمْ بَعْض سُفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا.

حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ،

فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تفرَّقُوا

حَتَّى إِذَا جَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ،

ثُمَّ انْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ،
أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ،
حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا،
فجَمعهم الطَّرِيقُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَتَعَاهَدَ لَا نَعُودُ، فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.
فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيق أَخَذَ عَصَاهُ،
ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فِي بَيْتِهِ،
فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟
قَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، وَاللَّهِ لَقَدْ سمعتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا
وَ أَعْرِفُ مَا يُراد بِهَا، و سمعتُ أَشْيَاءَ مَا عرفتُ مَعْنَاهَا، وَ لَا مَا يُرَادُ بِهَا.
قَالَ الْأَخْنَسُ: وَ أَنَا وَالَّذِي حَلفت بِهِ.
قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتِهِ،
فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟
قَالَ: مَاذَا سمعتُ؟!
تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ:
أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا،
وَ حَمَلُوا فَحَمَلْنَا،
وَ أَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا،
حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكب،
وَ كُنَّا كفَرَسي رِهان
قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ،
فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ؟
وَ اللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَ لَا نُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَ تَرَكَهُ .

قال تعالى: (ٱنظُرۡ)

متعجبا

(كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ)

التي هي أضل الأمثال و أبعدها عن الصواب

***مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "شَاعِرٌ"،
وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "كَاهِنٌ"،
وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "مَجْنُونٌ"
وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: "سَاحِرٌ"

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا}

أَيْ: فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وَ لَا يَجِدُونَ إِلَيْهِ مَخْلَصًا.

(فَضَلُّواْ)

في ذلك أو فصارت سببا لضلالهم

لأنهم بنوا عليها أمرهم و المبني على فاسد أفسد منه.

(فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا)

أي: لا يهتدون أي اهتداء فنصيبهم الضلال المحض و الظلم الصرف.

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

(وَقَالُوٓاْ)

يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث و تكذيبهم به و استبعادهم بقولهم:

(أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا)

أي: أجسادا بالية

***الميسر:تصير فُتاتًا**

***** أَيْ: تُرَابًا**

و قيل: غُبَارًا

(أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)

أي: لا يكون ذلك و هو محال بزعمهم،

فجهلوا أشد الجهل حيث كذبوا رسل الله

و جحدوا آيات الله

و قاسوا قدرة خالق السماوات و الأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة.

فلما رأوا أن هذا ممتنع عليهم لا يقدرون عليه جعلوا قدرة الله كذلك.

❍فسبحان من جعل خلقا من خلقه يزعمون أنهم أولو العقول و الألباب مثالا في جهل أظهر الأشياء وأجلاها و أوضحها براهين و أعلاها

ليرى عباده أنه ما ثم إلا توفيقه و إعانته أو الهلاك و الضلال.

(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

*****بَعْدَ مَا بُلِينَا وَصِرْنَا عَدَمًا لَا يُذْكَرُ. كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي الْمَوْضِعِ الْآخَرِ:**

{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ* أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً* قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} [النَّازِعَاتِ: 10 -12]

قَالَ تَعَالَى{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ*قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78، 79] .

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ
مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ
قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ
ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن
يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ
زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ
يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ
مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ
قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ

وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

و لهذا أمر رسوله ﷺأن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا:

(قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ)

أي: يعظم

(فِى صُدُورِكُمْ)

لتسلموا بذلك على زعمكم من أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته،

فإنكم غير معجزي الله في أي حالة تكونون

و على أي وصف تتحولون،

و ليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة و بعد الممات.

فدعوا التدبير و التصريف لمن هو على كل شيء قدير و بكل شيء محيط.

(فَسَيَقُولُونَ)

حين تقيم عليهم الحجة في البعث

(مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا

{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}الأنبياء: 104]

***{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الرُّومِ: 27]

(فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ)

أي: يهزونها إنكارا و تعجبا مما قلت

*** هَذَا هُوَ :-

الَّذِي تَفْهَمُهُ الْعَرَبُ مِنْ لُغَاتِهَا؛

لِأَنَّ الْإِنْغَاضَ

هُوَ التَّحَرُّكُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، أَوْ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ)

أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟

لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم و تعجيز.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[الملك: 25]

***وَ قَالَ تَعَالَى: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا}[الشُّورَى: 18]

(قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا)

فليس في تعيين وقته فائدة،

و إنما الفائدة والمدار على تقريره و الإقرار به و إثباته

و إلا فكل ما هو آت فإنه قريب.

***احْذَرُوا ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ إِلَيْكُمْ، سَيَأْتِيكُمْ لَا مَحَالَةَ،فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ.

(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ)

للبعث و النشور و ينفخ في الصور

***إِذَا أَمَرَكُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَا يُخالَف وَ لَا يُمَانع،

بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: 50]

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [النَّحْلِ: 40]

وَ قَالَ {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النَّازِعَاتِ: 13، 14]

أَيْ: إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَاحِدٌ بِانْتِهَارٍ

فَإِذَا النَّاسُ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ إِلَى ظَاهِرِهَا كَمَا قَالَ:

{ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ }

أَيْ: تَقُومُونَ كُلُّكُمْ إِجَابَةً لِأَمْرِهِ وَ طَاعَةً لِإِرَادَتِهِ.

(فَتَسْتَجِيبُونَ)

أي: تنقادون لأمره و لا تستعصون عليه.

و قوله:(بِحَمْدِهِ)

أي: هو المحمود تعالى على فعله و يجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد.

(وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)

من سرعة وقوعه و أن الذي مر عليكم من النعيم كأنه ما كان.

فهذا الذي يقول عنه المنكرون

(متى هو) ؟

يندمون غاية الندم عند وروده و يقال لهم:

(هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)

***وَ كَمَا قَالَ:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}

[النَّازِعَاتِ: 46]

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

و هذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق و الأعمال و الأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا و الآخرة فقـــــال: -

(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ)

و هذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة و ذكر و علم

و أمر بمعروف و نهي عن منكر

و كلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم و منازلهم،

○و أنه إذا دار الأمر بين أمـــــرين حسنيـــــن:-

فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما.

○و القول الحسن داع لكل خلق جميل و عمل صالح

فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

و قوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ)

أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم و دنياهم.

فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها،

و أن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم

فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يحاربوه

فإنه يدعوهم (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

***فَإِنَّهُ إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ،
وَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ إِلَى الْفِعَالِ،
وَ وَقَعَ الشَّرُّ وَ الْمُخَاصَمَةُ وَ الْمُقَاتَلَةُ،
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لِآدَمَ وَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ حِينِ امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ،
فَعَدَاوَتُهُ ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ؛
وَ لِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحَدِيدَةٍ،
فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ فِي يَدِهِ، أَيْ: فَرُبَّمَا أَصَابَهُ بِهَا.
صحيح البخاري
7072 -عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ،
فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»( )

و أما إخوانهم فإنهم و إن نزغ الشيطان فيما بينهم و سعى في العداوة

فإن الحزم كل الحزم السعي في ضد عدوهم

و أن يقمعوا أنفسهم الأمارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها

فبذلك يطيعون ربهم و يستقيم أمرهم و يهدون لرشدهم.

(ينزغ في يده) يزين له تحقيق الضربة من نزغ الشيطان وهو الحمل والإغراء على الفساد.
وفي رواية (ينزع) أي يرمي بها ويحقق الضربة
(في حفرة من نار) كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار

(إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا)

***الميسر: إن الشيطان كان للإنسان عدواً ظاهر العداوة.**

(رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ)

من أنفسكم فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير

و لا يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم

و قد تريدون شيئا و الخير في عكسه.

(إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ)

فيوفق من شاء لأسباب الرحمة

(أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ)

و يخذل من شاء فيضل عنها فيستحق العذاب.

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ)

***يا محمد

(عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا)

تدبر أمرهم و تقوم بمجازاتهم

و إنما الله هو الوكيل و أنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم.

(وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ)

من جميع أصناف الخلائق فيعطي كلا منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته

و يفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية و المعنوية

(وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ)

كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض بالفضائل و الخصائص

الراجعة إلى ما من به عليهم مـــــن :-

الأوصـــــاف الممدوحة

و الأخـــــلاق المرضية

و الأعمـــــال الصالحة

و كثـــــــرة الأتباع

و نـــــــزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية

و العقائد المرضية،

*** كَمَا قَالَ:{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}[الْبَقَرَةِ: 253]

❍فإذا كان تعالى قد فضل بعضهم على بعض

و آتى بعضهم كتبا فلم ينكر المكذبون لمحمد ﷺما أنزله الله عليه

و ما فضله به من النبوة و الكتاب.

***وَ لَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ،

وَ أَنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ أَفْضَلُهُمْ،

وَ هُمُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورُونَ نَصًّا فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب: 7]

***وَ فِي الشُّورَى فِي قَوْلِهِ:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشُّورَى: 13]

وَ لَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺأَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ،
ثُمَّ مُوسَى عَلَى الْمَشْهُورِ،
وَ قَدْ بَسَطْنَا هَذَا بِدَلَائِلِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَ اللَّهُ الْمُوَفِّقُ.

(وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا)

كما أنزل على داود زبورا و هو الكتاب المعروف

*** تَنْبِيهٌ عَلَى فَضْلِهِ وَ شَرَفِهِ.

*** صحيح البخاري

4713 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ لِتُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ - يَعْنِي - القُرْآنَ»

قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح مسلم

(3030)عَنْ عَبْدِ اللهِ،

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [الإسراء:57]

قَالَ:كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،

فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ و اسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ،

فَنَزَلَتْ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}[الإسراء:57]

يقول تعالى:(قُلِ)

للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله

و يدعونهم كما يدعونه ملزما لهم بتصحيح ما زعموه و اعتقدوه

إن كانوا صادقين:

(ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم)

آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر،

(فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ)

من مرض أو فقر أو شدة و نحو ذلك فلا يدفعونه بالكلية

(وَلَا) يملكون أيضا

(تَحۡوِيلًا)

تحويله من شخص إلى آخر من شدة إلى ما دونها.

فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون الله؟

فإنهم لا كمال لهم و لا فعال نافعة،

فاتخاذهم آلهة نقص في الدين و العقل و سفه في الرأي.

❍و من العجب أن السفه عند الاعتياد و الممارسة و تلقيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي السديد و العقل المفيد.

❍و يرى إخلاص الدين لله الواحد الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة و الباطنة هو السفه والأمر المتعجب منه كما قال المشركون:

(أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)

***الميسر :و هذه الآية عامة في كل ما يُدْعى من دون الله، ميتًا كان أو غائبًا، من الأنبياء و الصالحين و غيرهم، بلفظ الاستغاثة أو الدعاء أو غيرهما، فلا معبود بحق إلا الله.**

❍ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله و ابتغاء الوسيلة إليه فقال:

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ)

من الأنبياء و الصالحين و الملائكة

(يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ)

أي: يتنافسون في القرب من ربهم و يبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى

(وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ)

***الميسر:يأملون رحمته**

❍ يبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى رحمة الله تعالى

(وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ)

فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب.

***لَا تَتَمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ،

فَبِالْخَوْفِ يَنْكَفُّ عَنِ الْمَنَاهِي،

وَ بِالرَّجَاءِ يَنْبَعِثُ عَلَى الطَّاعَاتِ.

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)

أي: هو الذي ينبغي شدة الحذر منه و التوقي من أسبابه.

و هــــذه الأمـــور الثـــلاثة :-

الخـــوف و الـــرجاء و المحبـــة

التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل و المادة في كل خير.

فمن تمت له تمت له أموره

و إذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات و أحاطت به الشرور.

و علامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله

و ينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله و النصح فيها

و إيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها،

فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب.

وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾

(وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗا)

أي: ما من قرية من القرى المكذبة للرسل

إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة أو عذاب شديد.

***إِمَّا بِقَتْلٍ أَوِ ابْتِلَاءٍ بِمَا يَشَاءُ،

وَ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَ خَطَايَاهُمْ،

كَمَا قَالَ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ:{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}

[هُودٍ: 101] وَ قَالَ تَعَالَى:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}[الطلاق: 7، 8] .

(كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا)

كتاب كتبه الله و قضاء أبرمه، لا بد من وقوعه،

فليبادر المكذبون بالإنابة إلى الله و تصديق رسله

قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب، و يحق عليهم القول.

الاعجاز العلمي في :-(قل كونوا حجارة أو حديدا)

الرابط

كتب : كيميائي جمال عبدالناصر الجنايني

بقسم:

مُقدمة

قال تعالى (وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً. أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً) **49 - 51 الإسراء**.

تتحدث هذه الآيات عن إنكار المشركين لحقيقة البعث بعد الموت بعد أن يتحولوا إلى عظام وتراب، ولكن جاء الرد الإلهي يخبرهم أنكم حتى لو أصبحتم حجارة أو حديد فإن الله قادر على أن يبعثكم مرة أخرى، و لا اشكال عند الله فى كونكم فى الصورة العضوية (عظام و رفات)

أو أنكم تحولتم الي صورة غير عضوية (حجارة - حديد)،

فالذى فطر الانسان و غيره من المخلوقات لأول مرة من تراب الأرض قادر على الاعادة و هى من وجهة نظركم أهون على الله الذى لا يوجد عنده سهل و صعب فالكل فى حقه سهل

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الروم27.

و في هذه الآيات يشير القرآن إلى تحول الموتى إلى حجارة أو حديد و هذه حقيقة تم إثباتها علميا.

ليس هذا فقط بل أصبحت هذه الحقيقة أساس علمي لدراسات أكثر تعقيدا فيما يعرف بعلم المتحجرات .(Paleontology)
و بالتالي فإن القرآن قد سبق العلم الحديث في الإشارة إلى حقيقة تكون الحفريات نتيجة تحول الموتى إلى حجارة أو حديد.


عظام بشرية متحجرة

الحفريات(Fossils)

الحفريات أو المتحجرات هي عبارة عن بقايا أو أثار الحيوانات أو النباتات التي حفظت بواسطة أسباب طبيعية على سطح القشرة الأرضية
و مصطلح Fossil يشير إلى كل ما هو موجود أو مدفون في الأرض بصورة عامة ،
لذا فان الأحياء التي تعيش حاليا لا يمكن اعتبارها متحجرات عندما تموت و تدفن لان معظم علماء المتحجرات يعزون تصنيف المتحجرات على إنها الكائنات التي دفنت في أزمان معينة.

حيث أن الحد الأدنى لعمر المتحجرات يعتبر 10 آلاف سنة
و يصل أعمار بعض المتحجرات إلى 4 مليار سنة.
و تمثل المتحجرات المكتشفة و غير المكتشفة وأماكن تواجدها في التكونات الصخرية و الطبقات الرسوبية ما يعرف باسم السجل الحفري.
و لقد استطاع العلماء تحديد أعمار المتحجرات عن طريق تحديد أعمار طبقات الصخور التي تحتوي عليها
و ذلك بواسطة ما يعرف باسم (radiometric dating)
و هي تحديد أعمار الصخور عن طريق النظائر المشعة الموجودة بها.
و من هنا فإن الطريقة الوحيدة لدراسة الحياة القديمة (prehistoric life) هي عن طريق دراسة بقاياها المحفوظة على هيئة متحجرات.
و لذلك فمن الخطأ مثلا أن يصف بعض الناس متحجرات الديناصورات بالهيكل العظمي للديناصور حيث أنه في الحقيقة لا يمكن للمواد العضوية التي تتكون منها العظام أن تظل موجودة لهذه الملايين من السنين.
بل ما نراه بأعيننا هو عبارة عن نموذج صخري لهذه العظام.
وبالتالي فنحن لا نرى من بقايا الديناصورات إلا الأجزاء التي تحولت منها إلى حجارة.



حفرية لهيكل عظمي متحجر لديناصور

يقول أستاذي الدكتور/ حسني حمدان

أستاذ علوم الأرض في مقدمة منهجه في تدريس علم الحفريات
"زخر أرشيف الحياة على الأرض بسجل رائع للأمم التي تداولتها الأيام من أقدم الكائنات ظهورا على الأرض وإلى يومنا هذا.
وعلى دارس علم الحياة القديمة أن يسير في الأرض فينظر كيف بدأ الخلق.
حقا إنه سجل مبهر إلا أنه في نفس الوقت ليس كاملا.
وإن كانت الحقيقة أن كل ما عاش مات ،
إلا أنه من المؤكد أن كل ما مات لم يقبر،
وكل ما قبر لم يحفظ،
و كل ما حفظ لم نعثر عليه
و كل ما عثرنا عليه لم نتعرفه
و يحوى سجل الحياة فراغات أكثر من السجل ذاته.
و تلعب ثلاثة عوامل أدوارا رئيسة في حفظ بقايا الكائنات البائدة
<u>تتنوع ما بين :-</u>

1-التحطيم الميكانيكي،

2-و الحياتي

3-و الكيميائي.

و حينما ندرس لطلابنا الطرق التي من خلالها يتم حفظ الكائنات

لا يجب أن تغيب عنا إشارات القرآن عن إمكانية تحول بقايا الإنسان إلى حجارة أو حديد

أو ما هو أكبر من ذلك

و إلى المثلية بين الدواب والطيور والإنسان ،

و إلى تقسيم الكائنات

و إلى تعريف النوع البيولوجي،

و إلى أن السجل الكامل للأقدمين عند رب العالمين."



بقايا هيكل عظمي بشري

ما هي شروط حفظ المتحجرات؟

1.-وجود أجزاء صلبة مثل العظام والأصداف والنسيج الصوفي

2.-سرعة الطمر مع انتقال بسيط للكائنات من موقع موتها

و ليس مسافة طويلة و هذا يقع تحت علم Taphonomy

و هو علم متخصص بما حصل للكائن الميت من زمن موته إلى حين اكتشافه

.3-الدفن في الترسبات الناعمة مثل الطين و الغرين و الرمل

.4-حركة قليلة لفعالية البكتريا على بقايا الحيوانات و النباتات بعد موتها و عليه عدم حصول التحلل السريع

.5-مستوى ثابت من درجة الحرارة والرطوبة

.6-عملية دوران المياه الجوفية حاملا المعادن الذائبة لتثبيت المكونات الكيميائية

كيف تتحول العظام إلى حجارة أو حديد؟

من المعروف أن أكثر بقايا الكائنات الحية حفظا هي البقايا الصلبة مثل العظام والأسنان والدروع.

ويحدث ذلك عندما يتم استبدال المركبات الكيميائية في هذه البقايا بأنواع من المعادن تكون غالبا إما معدن الكالسيت (calcite) أو السليكا (silica) أو البيريت (pyrite).

و من هنا يمكن تقسيم هذه البقايا المتحجرة حسب المعادن التي استبدلتها إلى نوعين أساسيين

-1البقايا التي تحولت إلى حجارة

من المعروف أن الكالسيت والسيليكا هم المكون الأساسي لمعظم انواع الصخور والحجارة بل أن السليكا مثلا هي أكثر المعادن تواجدا في القشرة الأرضية.

و لذلك فعندما تستبدل معادن السليكا أو الكالسيت بقايا الكائن الحي يتكون نموذج صخري لهذه البقايا،

و بالتالي فإن هذه البقايا تكون تحولت بالفعل إلى حجارة.

2- البقايا التي تحولت إلى حديد

في كثير من الحالات يتم استبدال بقايا الكائن الحي بمعدن البيريت

و الذي يعرف أيضا باسم الحديد بيريت .(Iron pyrite)

و هذا المعدن عبارة عن ثاني كبريتيد الحديد (FeS_2)

و يعطي هذا المعدن لون و بريق يشبه الذهب لذلك يعرف باسم الذهب الكاذب.

و عندما يتم استبدال بقايا الكائن الحي بهذا المعدن و يكون محفوظا حفظا جيدا

فإن نموذج هذه البقايا المكون من الحديد بيريت يعطي بريق معدني مماثل لبريق البيريت.



حفرية لصدفة تحللت واستبدلت بمعدن الحديد البيريت مما أعطاها هذا البريق الذهبي

و لكن أكثر من ذلك إن معدن البيريت معدن غير ثابت

فعندما لا تكون البقايا محفوظة جيدا و تتعرض للرطوبة فإنها تتأكسد

و تتحول إلى ركامة من الصدأ و الذي هو عبارة عن كبريتات الحديد.($FeSO_4.7H_2O$)



هذه الحفرية من معدن البيريت والذي تأكسد وتحول إلى كومة من الصدأ من مركبات الحديد

و لنرى مدى الإعجاز فبقايا الكائنات الحية تتحول مع مرور العصور و الأزمان إلى حجارة أو في بعض الحالات تتحول إلى خامات الحديد

و التي نفسها مع الوقت تتحول إلى كومة من صدأ الحديد

" قل كونوا حجارة أو حديدا **(الإسراء 50).**

ولنقول للكافرين نعم مهما مر من الوقت و العصور على الموتى و تحولوا إلى حجارة أو حتى تحولوا إلى حديد فإن الذي خلقهم من العدم قادر على أن يعيدهم مرة أخرى.

و ليعلم العالم كله أن هذا الكتاب العظيم المنزل على قلب نبي أمي في قلب الصحراء هو كلام خالق هذا الكون عز وجل.

كيميائي: جمال عبدالناصر الجنايني
مدير موقع القرآن والعلم الناطق بالانجليزية

www.quranandscience.com

تعليق إدارة الموقع

هناك بعض الاستفسارات التي تحتاج إلى إجابات قاطعة لكي يكتمل هذا البحث:

.1هل عرف العرب قبل البعثة النبوية بمسألة الحفريات أم أنها اكتشاف علمي حديث

.2هل هناك بالفعل حفرية حديد للبشر

.3هل يمكن للحديد الموجود بجسم الإنسان (في الدم و بعض الإنزيمات) أن يدخل في تركيب الحفرية أم أن كميته القليلة تحول دون ذلك

.3هل يمكن للبشر أن يصلوا الي تقنية علمية تجعلهم قادرين على تحويل الأجساد العضوية إلي حفريات من حجارة أو حديد أو غيرها من الخلق، في محاولة يائسة للهروب من لقاء الله.

.4ما هو الخلق المشار إليه بقول الله تعالي (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم)

.5لماذ ختم الله بقوله (الذي فطركم) و لم يقل (خلقكم) أو (برأكم) أو (صوركم) أو غيرها من أفعال الله المختصة بإيجاد المخلوقات

المراجع:

-1محاضرات د/ حسني حمدان أستاذ علوم الارض – جامعة المنصورة والمستشار العلمي للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

-2العمري ، فاروق صنع الله وعباوي، طارق صالح، *1982* ،علم المتحجرات،مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل، ص*474*.

3- http://en.wikipedia.org/wiki/Fossils

4- http://www.paleontology.esmartstudent.com/fossilization.html

5- Understanding fossilization: Experimental pyritization of plants, Geology Journal, Stephen T. Grimes

6- http://www.discoveringfossils.co.uk/pyrite_formation_fossils.htm

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ

مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ

أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي

ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ

ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ

أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ

ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ

مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ

وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤

إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي

يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ

مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ

أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

مسند أحمد ط الرسالة

2333 - عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ، قَالَ:

سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا،

وَ أَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزْرَعُوا

فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِيَ بِهِمْ،

و إِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا،

فَإِنْ كَفَرُوا أُهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ،

قَالَ:"لَا بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ "

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ:{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}**[الإسراء: 59] (2)**

(وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ)

o يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها المكذبون،

و أنه ما منعه أن يرسلها

(إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ)

إلا خوفا من تكذيبهم لها،

❍فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب و حلَّ بهم من غير تأخير كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها.

***بَعْدَمَا سَأَلُوهَا،

وَ جَرَتْ سُنَّتُنَا فِيهِمْ وَ فِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤَخَّرُونَ إِذَا كَذَّبُوا بِهَا بَعْدَ نُزُولِهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَائِدَةِ:

{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}[الْمَائِدَةِ: 115]

(وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ)

و من أعظم الآيات الآية التي أرسلها الله إلى ثمود

و هي الناقة العظيمة الباهرة التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها

و مع ذلك كذبوا بها فأصابهم ما قص الله علينا في كتابه،

و هؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات الكبار لم يؤمنوا،

فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول و اشتباهه

هل هو حق أو باطل؟

فإنه قد جاء من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء به الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها

فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها فترك إنزالها

و الحالة هذه خير لهم و أنفع.

(مُبۡصِرَةٗ)

*الميسر:معجزة واضحة و هي الناقة،

(فَظَلَمُواْ بِهَاۚ)

*الميسر:فكفروا بها فأهلكناهم.

و قوله:(وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا)

أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية و موجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها،

بل المقصود منها التخويف و الترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه.

***صحيح البخاري

1040 -عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ،
فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺيَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ،
فَدَخَلْنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ:
«إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ،
فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَ ادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»( )

(وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ)

علما و قدرة فليس لهم ملجأ يلجأون إليه و لا ملاذ يلوذون به عنه،

و هذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس.

(وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ)

(فانكسفت الشمس) تغير ضوؤها و نقص. (يجر رداءه) من العجلة.
(انجلت) صفت و عاد ضوؤها.(رأيتموها) رأيتم تغيرها]

أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء.

(وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ)

التي ذكرت

(فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ)

و هي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم.

و المعنى إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس

حتى استلج الكفار بكفرهم و ازداد شرهم و بعض من كان إيمانه ضعيفا رجع

عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء

و من الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة.

و الإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق

فهذا الذي أوجب لهم التكذيب

فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة و الخوارق الجسيمة؟

أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟!

فلذلك رحمهم الله و صرفها عنهم،

(وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ)

و من هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب و السنة بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولى و أحسن

لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم

لو أخبروا بها قبل وقوعها

فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين و مانعا يمنع من لم يدخل الإسلام و منفرا عنه.

بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.

(وَنُخَوِّفُهُمۡ)

بالآيات

(فَمَا يَزِيدُهُمۡ)

التخويف

(إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا)

و هذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر و محبته و بغض الخير و عدم الانقياد له.

***تَمَادِيًا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ. وَ ذَلِكَ مِنْ خذلان الله لهم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

ينبه تبارك و تعالى عباده على شدة عداوة الشيطان

و حرصه على إضلالهم و أنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له

و (قَالَ)

متكبرا:

(ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)

أي: من طين و بزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار.

و قد تقدم فساد هذا[القياس الباطل] من عدة أوجه.

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الْأَعْرَافِ: 12] .

فلما تبين لإبليس تفضيل الله لآدم

(قَالَ)

مخاطبا لله:

(أَرَءَيْتَكَ)

***يَقُولُ لِلرَّبِّ جَرَاءَةً وَ كُفْرًا، وَ الرَّبُّ يَحْلُمُ وَ يَنْظُرُ

(هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥ)

أي: لأستأصلنهم بالإضلال و لأغوينهم

(إِلَّا قَلِيلًا)

عرف الخبيث أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه و يعصيه.

فقال الله له: (ٱذْهَبْ)

*** كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}[الْحِجْرِ: 37، 38]

(قَالَ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ)

و اختارك على ربه و وليه الحق،

(فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا)

أي: مدخرا لكم موفرا جزاء أعمالكم.

ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم

فقال:(وَٱسْتَفْزِزْ)

***الميسر:واستَخْفِف كل**

(مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ)

من تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إياه إلى معصيتي

❍و يدخل في هذا كل داع إلى المعصية.

***قِيلَ: هُوَ الْغِنَاءُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: بِاللَّهْوِ وَ الْغِنَاءِ أَيْ: اسْتَخِفَّهُمْ بِذَلِكَ.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :كُلُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ

(وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)

و يدخل فيه كل راكب و ماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان و رجله.

و المقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله و أفعاله.

***وَ مَعْنَاهُ: تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ ما تقدرعليه. وَ هَذَا أَمْرٌ قَدَرِيٌّ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}

[مَرْيَمَ: 83]

أَيْ: تُزْعِجُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي إِزْعَاجًا، وَ تَسُوقُهُمْ إِلَيْهَا سَوْقًا

***وَ تَقُولُ الْعَرَبُ: "أَجْلَبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ":

إِذَا صَاحَ عَلَيْهِ.

وَ مِنْهُ: "نَهَى فِي الْمُسَابَقَةِ عَنِ الجَلَب و الجَنَب"

وَ مِنْهُ اشْتِقَاقُ "الْجَلَبَةِ"، وَ هِيَ ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ.

(وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ)

***الميسر:و اجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام،**

و ذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم و أولادهم من منع الزكاة

و الكفارات و الحقوق الواجبة،

* و أخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية.

***وَ قَالَ عَطَاءٌ: هُوَ الرِّبَا.

وَ قَالَ الْحَسَنُ:هُوَ جَمْعُهَا مِنْ خَبِيثٍ، وَ إِنْفَاقُهَا فِي حَرَامٍ.

(وَٱلۡأَوۡلَٰدِ)

***الميسر:و شِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى و المعاصي، ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور و الفساد**

❍و عدم تأديب الأولاد و تربيتهم على الخير و ترك الشر

بل ذكر كثير من المفسرين أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال

و الأولاد ترك التسمية عند الطعام و الشراب و الجماع،

و أنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه الحديث.

*** صحيح مسلم

2865-قال النبي ﷺ يقول الله:-

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،

وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،

(وَعِدۡهُمۡۚ)

الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها و لهذا قال:

(وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا)

أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي و العقائد الفاسدة

و يعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق،

***كَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ أَنَّهُ يَقُولُ إِذَا حَصْحَصَ الْحَقُّ يَوْمَ يُقْضَى بِالْحَقِّ: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ}الْآيَةَ [إِبْرَاهِيمَ: 22] .

و قال تعالى:

{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا } [البقرة: 268]

و لما أخبر عما يريد الشيطان أن يفعل بالعباد

و ذكر ما يعتصم به من فتنته و هو عبودية الله و القيام بالإيمان و التوكل

فقال: (إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ)

أي: تسلط و إغواء

بل الله يدفع عنهم – بقيامهم بعبوديته– كل شر

و يحفظهم من الشيطان الرجيم و يقوم بكفايتهم.

(وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا)

لمن توكل عليه و أدى ما أمر به.

*** حَافِظًا وَ مُؤَيِّدًا وَ نَاصِرًا.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

(رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى)

*الميسر :هو الذي يُسَيِّر

(لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ)

يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك و السفن و المراكب

و ألهمهم كيفية صنعتها،

و سخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره

(لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ)

لينتفع العباد بها في الركوب و الحمل للأمتعة و التجارة.

(ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)

و هذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيما رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت

به إرادتهم و منافعهم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ
ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا
ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ٦٨ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ
قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ٦٩ ۞
وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ
بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ
فَتِيلٗا ٧١ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢
وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا
لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا
قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ
ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْۙ

ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

(وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ)

و من رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه

أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج

(ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ)

ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء و الأموات،

فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر

و صرخوا بدعوة فاطر الأرض و السماوات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات

و أخلصوا له الدعاء و التضرع في هذه الحال.

(فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ)

فلما كشف الله عنهم الضر و نجاهم إلى البر

و نسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل

و أشركوا به من لا ينفع و لا يضر و لا يعطي و لا يمنع

و أعرضوا عن الإخلاص لربهم و مليكهم،

(وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا)

و هذا من جهل الإنسان و كفره فإن الإنسان كفور للنعم،

إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم و اهتدى إلى الصراط المستقيم،

فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد و ينجي من الأهوال

هو الذي يستحق أن يفرد و تخلص له سائر الأعمال في الشدة و الرخاء

و اليسر و العسر.

❍و أما من خُذِل و وُكِل إلى عقله الضعيف

فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة و إنجاءه في تلك الحال.

❍فلما حصلت له النجاة و زالت عنه المشقة ظن بجهله أنه قد أعجز الله

و لم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلا عن أمور الآخرة.

و لهذا ذكرهم الله بقوله:

(أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا)

***وَ هُوَ: الْمَطَرُ الَّذِي فِيهِ حِجَارَةٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} [الْقَمَرِ: 34]
وَ قَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ}[هُودٍ: 82]
وَ قَالَ: {ءأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ* أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ}
[الْمُلْكِ: 16، 17] .

أي: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب

و هو العذاب الذي يحصبهم فيصبحوا هالكين،

فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر.

(ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا)

*** نَاصِرًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَنْكُمْ، وَ يُنْقِذُكُمْ مِنْهُ

(أَمۡ أَمِنتُمۡ)

و إن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من

(أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ)

في البحر

(تَارَةً أُخۡرَىٰ)

***مرة ثانية

(فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ)

أي: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه.

(فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡۙ)

*** يَقْصِفُ الصَّوَارِيَ وَ يُغْرِقُ الْمَرَاكِبَ

(ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا)

أي: تبعة و مطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة.

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَصِيراً.
وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: نَصِيراً ثَائِرًا،أَيْ: يَأْخُذُ بِثَأْرِكُمْ بِعْدَ كُمْ.
وَ قَالَ قَتَادَةُ: وَ لَا نَخَافُ أَحَدًا يُتْبِعُنَا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠

(وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ)

و هذا من كرمه عليهم و إحسانه الذي لا يقادر قدره حيث كرم بني آدم

بجميع وجوه الإكرام،

فكرمهم بالعلم و العقل و إرسال الرسل و إنزال الكتب،

و جعل منهم الأولياء و الأصفياء و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة.

*** كَمَا قَالَ:{لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التِّينِ: 4]
أَيْ: يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَى رِجْلَيْهِ،
وَ يَأْكُلُ بِيَدَيْهِ -وَ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ
وَ يَأْكُلُ بِفَمِهِ -وَ جَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَ بَصَرًا وَ فُؤَادًا،

يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَ يَنْتَفِعُ بِهِ،
وَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَ يَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَ خَوَاصَّهَا وَ مَضَارَّهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ الدِّينِيَّةِ.

(وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ)

على الركاب من الإبل و البغال و الحمير و المراكب البرية.

(وَ) في

(وَالْبَحْرِ)

في السفن و المراكب

(وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ)

من المآكل و المشارب و الملابس و المناكح.

فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا و قد أكرمهم الله به و يسره لهم غاية التيسير.

(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)

بما خصهم به من المناقب

و فضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات.

أفلا يقومون بشكر من أولى النعم و دفع النقم

و لا تحجبهم النعم عن المنعم

فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم بل ربما استعانوا بها على معاصيه.

يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾

وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾

(يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۢ بِإِمَٰمِهِمۡۖ)

*** بِكِتَابِ أَعْمَالِهِمْ،

يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة،

و أنه يدعو كل أناس، و معهم إمامهم و هاديهم إلى الرشد،

و هم الرسل و نوابهم، فتعرض كل أمة،

و يحضرها رسولهم الذي دعاهم،

و تعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول،

هل هي موافقة له أم لا؟

*** صحيح البخاري

806- قال النبي ﷺ :-

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ،

فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ،

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ،

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ،

فينقسمون بهذا قسميـــــــن:

(فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ)

لكونه اتبع إمامه، الهادي إلى صراط مستقيم، و اهتدى بكتابه، فكثرت حسناته، و قلت سيئاته

(فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَـٰبَهُمۡ)

قراءة سرور و بهجة، على ما يرون فيها مما يفرحهم و يسرهم.

(وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا)

مما عملوه من الحسنات.

*** هُوَ الْخَيْطُ الْمُسْتَطِيلُ فِي شِقِّ النَّوَاةِ.

(وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ)

الدنيا

(أَعۡمَىٰ)

عن الحق فلم يقبله، و لم ينقد له، بل اتبع الضلال.

(فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ)

عن سلوك طريق الجنة كما لم يسلكه في الدنيا،

(وَأَضَلُّ سَبِيلًا)

فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان.

<u>و فـــــي هـــــذه الآيـــــة:-</u>

دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها و كتابها، هل عملت به أم لا؟
و أنهم لا يؤاخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه،
و أن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه و مخالفته لها.
و أن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيمانهم،
و يحصل لهم من الفرح و السرور شيء عظيم،
و أن أهل الشر بعكس ذلك،
لأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم و حزنهم و ثبورهم.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

يذكر تعالى منته على رسوله محمدﷺ و حفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال:

(وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ)
أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، و تحيلوا لك،
على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك،
(لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ)

فتجيء بما يوافق أهواءهم، و تدع ما أنزل الله إليك.

(وَإِذًا)

لو فعلت ما يهوون

(لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا)

أي حبيبًا صفيًا، أعز عليهم من أحبابهم،

لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، و محاسن الآداب،

المحببة للقريب و البعيد، و الصديق و العدو.

و لكن لتعلم أنهم لم يعادوك و ينابذوك العداوة،

إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)

(وَ)

مع هذا فـــــــ(وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ)

على الحق، و امتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم،

(لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلًا)

من كثرة المعالجة، و محبتك لهدايتهم.

***الميسر:لَقاربْتَ أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك، لـــــــــــــ:-**

1-قــــــوة خداعهم

2-و شـــدة احتيالهم،

3-ولرغبتك في هدايتهم.

(إِذًا)

لو ركنت إليهم بما يهوون

(لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ)

أي لأصبناك بعذاب مضاعف في الحياة الدنيا و الآخرة ،

و ذلك لكمال نعمة الله عليك ،و كمال معرفتك.

(ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرًا)

ينقذك مما يحل بك من العذاب،

و لكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر،

و من البشر فثبتك و هداك الصراط المستقيم،

و لم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة و أبلغ منحة.

وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ
خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ
ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ
رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ
وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ
كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ
كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا
٨٥ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ
ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦

وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ
خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ

وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

(وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا)

*** الميسر:ولقد قارب الكفار أن يخرجوك من «مكة» بإزعاجهم إيّاك،**

❍أي:من بغضهم لمقامك بين أظهرهم،

قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، و يجلوك منها.

(وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا)

و لو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتى تحل بهم العقوبة

(سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)

كما هي سنة الله التي لا تحول و لا تبدل في جميع الأمم،

كل أمة كذبت رسولها و أخرجته، عاجلها الله بالعقوبة.

***هَكَذَا عَادَتُنَا فِي الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُسُلِنَا وَ آذَوْهُمْ:-

يَخْرُجُ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ: وَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ.

وَ لَوْلَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ رَسُولُ الرَّحْمَةِ،

لَجَاءَهُمْ مِنَ النِّقَمِ فِي الدُّنْيَا مَا لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الْأَنْفَالِ: 33] .

❍و لما مكر به الذين كفروا و أخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا حتى أوقع الله بهم

بـــــــ« بدر » و قتل صناديدهم، و فض بيضتهم، فله الحمد.

و في هذه الآيـــــات:-

1-دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه،

2-و أنه ينبغي له أن لا يزال متملقًا لربه، أن يثبته على الإيمان،

ساعيا في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي ﷺو هو أكمل الخلق،

قال الله له: (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا)

فكيف بغيره؟

3-و فيها:-تذكير الله لرسوله منته عليه، و عصمته من الشر،

4-فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم

- عند وجود أسباب الشر - بالعصمة منه، و الثبات على الإيمان.

5-و فيها:-أنه بحسب علو مرتبة العبد، و تواتر النعم عليه من الله يعظم

إثمه، و يتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه،

لأن الله ذكر رسوله لو فعل - و حاشاه من ذلك - بقـــــوله:

(إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)

6-و فيها:أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، و عظم و كبر،

فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب،

كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ

كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ

إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ)

يأمر تعالى نبيه محمدًا ﷺبإقامة الصلاة تامة، ظاهرًا و باطنًا، في أوقاتها.

(لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ)

أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال،

فيدخل في ذلك صلاة الظهر و صلاة العصر.

(إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ)

أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب و صلاة العشاء.

(وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ)

أي: صلاة الفجر،

و سميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها،

و لفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، و ملائكة الليل و ملائكة و النهار.

*** مسند أحمد ط الرسالة

7185 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
تَفْضُلُ الصَّلَاةُ فِي الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَمْسًا وَ عِشْرِينَ،
وَ تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ "
ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ :-اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:
{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78] "
***** مسند أحمد ط الرسالة**
7491 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَتَعَاقَبُونَ،مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ،وَ مَلَائِكَةَ النَّهَارِ،
فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَ صَلَاةِ الْعَصْرِ،
ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ،
فَيَسْأَلُهُمْ -وَ هُوَ أَعْلَمُ - فَيَقُولُ:-
كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟
فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ، وَ أَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ "
ففي هذه الآيـــــــــــــــة:-

1–ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات،

2–و أن الصلوات الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمر.

3–و فيها:أن الوقت شرط لصحة الصلاة،

و أنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات.

4–و أن الظهر و العصر يجمعان، و المغرب و العشاء كذلك، للعذر،

لأن الله جمع وقتهما جميعًا.

5–و فيه:فضيلة صلاة الفجر،و فضيلة إطالة القراءة فيها،

و أن القراءة فيها، ركـــــــن

لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها،دل على فرضية ذلك.

و قوله:(وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ)

أي: صل به في سائر أوقاته.

(نَافِلَةً لَّكَ)

أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر، و رفع الدرجات،

بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة لسيئاته.

*** صحيح مسلم

(1163)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ،

وَ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»

○و يحتمل أن يكون المعنى: -

أن الصلوات الخمس فرض عليك و على المؤمنين،

بخلاف صلاة الليل، فإنها فرض عليك بالخصوص، و لكرامتك على الله،

أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك، و ليكثر ثوابك،

(عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا)

و تنال بذلك المقام المحمود،

و هو المقام الذي يحمده فيه الأولون و الآخرون، مقام الشفاعة العظمى،

حين يتشفع الخلائق بآدم،

ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى و كلهم يعتذر و يتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم، ليرحمهم الله من هول الموقف و كربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، و يقيمه مقامًا يغبطه به الأولون و الآخرون، و تكون له المنة على جميع الخلق.

***** السنن الكبرى للنسائي**

11230-عن حُذَيْفَةَ،يَقُولُ:

يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ،

فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ:

لَبَّيْكَ وَ سَعْدَيْكَ، وَ الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ،

وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَ الْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَ عَبْدُكَ وَ ابْنُ عَبْدِكَ،

وَ بِكَ وَإِلَيْكَ، وَ لَا مَلْجَأَ وَ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ،

تَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ»

فَهَذَا قَوْلُهُ:{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79]

***** صحيح البخاري**

4718 - عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ:

" إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ:

يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ،

حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ ( )

*****صحيح البخاري**

614 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

(جثا) جماعات واحدها جثوة. (تنتهي) تصل ويطلب أهل الموقف الشفاعة منه]

مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ:
اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَ الصَّلاَةِ القَائِمَةِ
آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ،
وَ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ،
حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ "( )

و قوله:(وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ)

أي: اجعل مداخلي و مخارجي كلها في طاعتك و على مرضاتك،

و ذلك لتضمنها الإخلاص و موافقتها الأمر.

(وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا)

أي: حجة ظاهرة، و برهانًا قاطعًا على جميع ما آتيه و ما أذره.

و هذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها خيرًا و مقربة له إلى ربه،

و أن يكون له – على كل حالة من أحواله– دليلا ظاهرًا،

و ذلك متضمن للعلم النافع، و العمل الصالح، للعلم بالمسائل و الدلائل.

(الدعوة التامة) المراد ألفاظ الأذان يدعى بها إلى عبادة الله تعالى ووصفت بالتمام وهو الكمال لأنها دعوة التوحيد المحكمة التي لا يدخلها نقص بشرك أو نسخ أو تغيير أو تبديل. (الوسيلة) ما يتقرب به إلى غيره. (الفضيلة) المرتبة الزائدة على سائر الخلائق و المراد هنا منزلة في الجنة لا تكن إلا لعبد واحد من عباد الله عز وجل. (وعدته) أي بقوله تعالى {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} / الإسراء 79 /. (حلت) استحقت.
(شفاعتي) أي أن أشفع له بدخول الجنه أو رفع درجاته حسبما يليق به]

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا:
وَعَدَهُ رَبُّهُ لَيَنْزَعَنَّ مُلْكَ فَارِسَ، وَ عِزَّ فَارِسَ،
وَ لَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ، وَ مُلْكَ الرُّومِ، وَ عِزَّ الرُّومِ، وَ لَيَجْعَلَنَّهُ لَهُ.
***و قَالَ قَتَادَةُ فِيهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺعَلِمَ أَلَّا طَاقَةَ لَهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ،
فَسَأَلَ سُلْطَانًا نَصِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ،
وَ لِحُدُودِ اللَّهِ،
وَ لِفَرَائِضِ اللَّهِ،
وَ لِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ؛
فَإِنَّ السُّلْطَانَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ جَعَلَهُ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ،
وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ،فَأَكَلَ شَدِيدُهُمْ ضَعِيفَهُمْ.

و قوله:(وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ)

و الحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد ﷺ،

فأمره الله أن يقول و يعلن، قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء،

(وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ)

أي:اضمحل و تلاشى.

(إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

أي: هذا وصف الباطل، و لكنه قد يكون له صولة و روجان إذا لم يقابله الحق

فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك.

❍و لهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان و الأمكنة الخالية من العلم بآيات

الله و بيناته.

***{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}[الْأَنْبِيَاءِ: 18]

***صحيح البخاري

4720 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺمَكَّةَ،

وَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَ ثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ،

فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَ يَقُولُ:

{جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[الإسراء: 81]

{جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}[سبأ: 49]

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ

وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

(وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

فالقرآن مشتمل على الشفاء و الرحمة،و ليس ذلك لكل أحد

و إنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به،

فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، مـــــن:-

الشُبه، و الجهالة، و الآراء الفاسدة، و الانحراف السيئ، و القصود السيئة .

فإنه مشتمل على العلم اليقينـــــي:-

الذي تزول به كل شبهــــة و جهـــالة،

و الوعـــــظ و التذكيـــــــــر:-

الذي يزول به كل شهــــوة تخالف أمر الله،

و لشفاء الأبدان من آلامها و أسقامها.

و أما الرحمـــــــــة:-

فإن ما فيه من الأسباب و الوسائل التي يحث عليها،

متى فعلها العبد فاز بالرحمة و السعادة الأبدية، و الثواب العاجل و الآجل.

(وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)

و أما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به،

فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة،

***وَ أَمَّا الْكَافِرُ الظَّالِمُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ،

فَلَا يَزِيدُهُ سَمَاعُهُ الْقُرْآنَ إِلَّا بُعْدًا وَ تَكْذِيبًا وَ كُفْرًا.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فُصِّلَتْ: 44]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: 124، 125]

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾

(وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ)

هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله،

فإن الإنسان–عند إنعام الله عليه– يفرح بالنعم و يبطر بها،و يعرض

(وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ)

و ينأى بجانبه عن ربه، فلا يشكره و لا يذكره.

***وَ هَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ}[يُونُسَ: 12]

(وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ)

كالمرض و نحوه

(كَانَ يَـُٔوسًا)

من الخير قد قطع ربه رجاءه، و ظن أن ما هو فيه دائم أبدًا.

❍و أما من هداه الله فإنه– عند النعم – يخضع لربه، و يشكر نعمته،

و عند الضراء يتضرع، و يرجو من الله عافيته، و إزالة ما يقع فيه،

و بذلك يخف عليه البلاء.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

أي:(قُلْ كُلٌّ)

من الناس

(يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ)

أي: على ما يليق به من الأحوال، إن كان من الصفوة الأبرار،

لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين.

و من كان من غيرهم من المخذولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين،

و لم يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم.

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: -عَلَى نَاحِيَتِهِ.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: -عَلَى حِدَّتِهِ وَ طَبِيعَتِهِ.

وَ قَالَ قَتَادَةُ:- عَلَى نِيَّته.

وَ قَالَ ابْنُ زَيْد:- دِينِه.

وَ كُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى.

وَ هَذِهِ الْآيَةُ –وَ اللَّهُ أَعْلَمُ -تَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَ وَعِيدٌ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [هُودٍ: 121، 122]

وَ لِهَذَا قَالَ:{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا}

أَيْ: مِنَّا وَ مِنْكُمْ، وَ سَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا)

فيعلم من يصلح للهداية، فيهديه و من لا يصلح لها فيخذله و لا يهديه.

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

125 عَنْ عَبْدِ اللَّه، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي خَرِبِ المَدِينَةِ، وَ هُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ،

فَمَرّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُود، فَقَال بَعضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرّوحِ؟
وَ قَال بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يَجِيءُ فِيه بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ،
فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ،
فَقَالَ يَا أَبَا القَاسِمِ مَا الرّوحُ؟
فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنّهُ يُوحَى إِلَيْه،
فَقُمْتُ، فَلَمّا انْجَلَى عَنْهُ، قَالَ:

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».
قَالَ الأَعْمَشُ: هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا()

(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ)

*** صحيح البخاري

4721 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي حَرْثٍ، وَ هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ،
إِذْ مَرَّ اليَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:-
سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ،
فَقَالَ:مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ؟
وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ،
فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ،

(خرب المدينة) أماكن خربة منها والخرب ضد العامر. (يتوكأ) يعتمد. (عسيب) عصا من جريد النخل. (تكرهونه) خشية أن يوحى إليه بشيء تكرهونه فيجيبكم به. (ما الروح) ما حقيقتها. (فقمت) حائلا بينه وبينهم. (انجلى) ذهب عنه ما يصيبه من حال الوحي. (من أمر ربي) مما استأثر الله تعالى بعلمه. (هكذا في قراءتنا) أي (أوتوا) وهي قراءة شاذة والمتواترة (أوتيتم) / الإسراء 85 /]

فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺفَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ:
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}
[الإسراء: 85] ( )

و هذا متضمن لردع من يسأل المسائل،

التي لا يقصد بها إلا التعنت و التعجيز،

و يدع السؤال عن المهم،

فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية،

التي لا يتقن وصفها و كيفيتها كل أحد،

و هم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد.

و لهذا أمر الله رسوله أن يجيب سؤالهم بقوله:

(قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ)

أي: من جملة مخلوقاته، التي أمرها أن تكون فكانت،

فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها.

و في هذه الآيـــــــة:-

(حرث) زراعة أي أرض مزروعة. (ما رابكم إليه) بصيغة الماضي من الريب وذكره في [النهاية] بضم الباء (ما رابكم إليه) أي ما رابكم وحاجتكم إلى سؤاله وفي نسخة (ما رأيكم) أي فكركم. وفي العيني قال الخطابي الصواب (ما أربكم) أي ما حاجتكم]

دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، و يدله على ما يحتاج إليه، و يرشده إلى ما ينفعه.

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

(وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ)

*الميسر :و لئن شئنا مَحْوَ القرآن من قلبك لَقدَرْنا على ذلك،

(ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا)

*الميسر:ثم لا تجد لنفسك ناصراً يمنعنا من فعل ذلك، أو يرد عليك القرآن.

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾

(إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ)

يخبر تعالى أن القرآن و الوحي الذي أوحاه إلى رسوله،

رحمة منه عليه و على عباده،

(إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا)

و هو أكبر النعم على الإطلاق على رسوله،

فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره.

فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به،

ثم لا تجد رادًا يرده، و لا وكيلا بتوجه عند الله فيه.

فلتغتبط به، و تقر به عينك، و لا يحزنك تكذيب المكذبين،

و استهزاء الضالين،

فإنهم عرضت عليهم أجل النعم، فردوها لهوانهم على الله و خذلانه لهم.

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

(قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ)

و هذا دليل قاطع، و برهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول و صدقه،

حيث تحدى الله الإنس و الجن

(لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ)

أن يأتوا بمثله،و أخبر أنهم لا يأتون بمثله

(وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

و لو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه.

○و وقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به،

متوفرة على رد ما جاء به بأي وجه كان،

و هم أهل اللسان و الفصاحة،

فلو كان عندهم أدنى تأهل و تمكن من ذلك لفعلوه.

فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعًا و كرهًا، و عجزوا عن معارضته.

و كيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه،

الذي ليس له علم و لا قدرة و لا إرادة و لا مشيئة و لا كلام و لا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسماوات، المطلع على سائر الخفيات،

الذي له الكمال المطلق، و الحمد المطلق، و المجد العظيم،

الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، و الأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، و فنيت الأقلام، و لم تنفد كلمات الله.

فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلا لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد،

فليس كمثله شيء، في ذاته، و أسمائه، و صفاته، و أفعاله تبارك و تعالى.

فتبًا لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق،

و زعم أن محمدًاﷺافتراه على الله و اختلقه من نفسه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

يقول تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)

أي: نوعنا فيه المواعظ و الأمثال، و ثنينا فيه المعاني التي يضطر إليها العباد،

لأجل أن يتذكروا و يتقوا،

فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة،

و أعانهم الله بتوفيقه،

(فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)

و أما أكثر الناس فأبوا إلا كفورًا لهذه النعمة التي هي أكبر من جميع النعم،
و جعلوا يتعنتون عليه باقتراح آيات غير آياته،
يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة.
فيقولون لرسول الله ﷺالذي أتى بهذا القرآن المشتمل على كل برهان و آية:

(وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا)

أي: أنهارًا جارية.

(أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ)

فتستغني بها عن المشي في الأسواق و الذهاب و المجيء
***وَ ذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَوْ شَاءَ لَفَعَلَهُ وَ لَأَجَابَهُمْ إِلَى جَمِيعِ مَا سَأَلُوا وَ طَلَبُوا، وَ لَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ،
***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96، 97]
وَ قَالَ تَعَالَى:{وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}
[الْأَنْعَامِ: 111] .

(فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا)

*الميسر:و تجعل الأنهار تجري في وسطها بغزارة.

(أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا)

أي: قطعًا من العذاب

***أَنَّكَ وَعَدْتَنَا أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّمَاءُ وَ تَهِي، وَ تَدَلَّى أَطْرَافُهَا، فَعَجِّلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَ أَسْقِطْهَا كِسَفًا أَيْ: قِطَعًا، كَقَوْلِهِمْ:

{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} الْآيَةَ [الْأَنْفَالِ: 32]

وَ كَذَلِكَ سَأَلَ قَوْمُ شُعَيْبٍ مِنْهُ فَقَالُوا:

{أَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 187] .

فَعَاقَبَهُمُ الرَّبُّ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

❍وَ أَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَ نَبِيُّ التَّوْبَةِ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،
فَسَأَلَ إِنْظَارَهُمْ وَ تَأْجِيلَهُمْ،
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. وَ كَذَلِكَ وَقَعَ،
***فَإِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَ حَسُنَ إِسْلَامُهُ
حَتَّى "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ"( ) الَّذِي تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺوَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ أَسْلَمَ إِسْلَامًا تَامًّا، وَ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا)

معجم الصحابة للبغوي :عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم

أخو أم سلمة - زوج النبي ﷺ- سكن المدينة وروى عن النبي ﷺ حديثا.

معرفة الصحابة لأبي نعيم :عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيُّ أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ، إِسْلَامُهُ عَامَ الْفَتْحِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الطَّائِفِ، وَاسْمُ أَبِي أُمَيَّةَ: حُذَيْفَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، أُمُّهُ: عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رُمِيَ يَوْمَ الطَّائِفِ رَمْيَةً فَمَاتَ شَهِيدًا

15-م10-ص291

أي: جميعًا، أو مقابلة و معاينة، يشهدون لك بما جئت به.

(أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ)

أي: مزخرف بالذهب و غيره

(أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ)

رقيًا حسيًا،

(و)

و مع هذا

(وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ)

***قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ مَكْتُوبٌ فِيهِ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ صَحِيفَةٌ:-
هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، تصبح موضوعة عند رأسه .

○و لما كانت هذه تعنتات و تعجيزات

و كلام أسفه الناس و أظلمهم،

المتضمنة لرد الحق وسوء الأدب مع الله،

و أن الرسول ﷺهو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزهه فقال:

(قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي)

عما تقولون علوًا كبيرًا،

و سبحانه أن تكون أحكامه و آياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، و آرائهم الضالة.

(هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا)

ليس بيده شيء من الأمر.

***سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ سُلْطَانِهِ وَ مَلَكُوتِهِ، بَلْ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ،

إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ،

وَ إِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْكُمْ،

وَ مَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ أُبَلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحُ لَكُمْ،

وَ قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَ أَمْرُكُمْ فِيمَا سَأَلْتُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ)

***أكثرهم

(أَن يُؤۡمِنُوٓاْ)

(إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا)

و هذا السبب الذي منع أكثر الناس من الإيمان،

حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرًا.

و هذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرًا منهم،

فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.

***وَ يُتَابِعُوا الرُّسُلَ، إِلَّا اسْتِعْجَابُهُمْ مِنْ بَعْثَتِهِ الْبَشَرَ رُسُلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا}[يُونُسَ: 2]

***وَ قَالَ تَعَالَى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[التَّغَابُنِ: 6]

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَلَؤُهُ:{أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}
[الْمُؤْمِنُونَ: 47]
وَ كَذَلِكَ قَالَتِ الْأُمَمِ لِرُسُلِهِمْ:{إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}[إِبْرَاهِيمَ: 10]

(قُل)

فـــــ(لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ)

يثبتون على رؤية الملائكة و التلقي عنهم؛

(لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا)

ليمكنهم التلقي عنه.

(قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ)

*الميسر:قل لهم: كفى بالله شهيداً بيني و بينكم عــــــلى:-
صِدْقي و حقيقة نبوّتي

فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات،

و ما أنزل عليه من الآيات،

و نصره على من عاداه و ناوأه.

***يَقُولُ تَعَالَى مُرْشِدًا نَبِيَّهُ إِلَى الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ، فِي صِدْقِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ:
أَنَّهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، عَالِمٌ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ،
فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ انْتَقَمَ مِنِّي أَشَدَّ الِانْتِقَامِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}[الْحَاقَّةِ: 44 -46]

(إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا)

فإنه خبير بصير،

لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية.

*** عَلِيمٌ بِهِمْ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْإِنْعَامَ وَ الْإِحْسَانَ وَ الْهِدَايَةَ،
مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الشَّقَاءَ وَ الْإِضْلَالَ وَ الْإِزَاغَةَ؛

وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ
سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا
﴿٩٩﴾ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ
ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ
جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾
فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾

وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ
سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا

﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٩٨﴾

يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية و الإضلال،

(وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ)

فييسره لليسرى و يجنبه العسرى،

(فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ)

على الحقيقة،

(وَمَن يُضۡلِلۡ)ـــه

فيخذله، و يكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله،

(فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ)

و ليس له ولي ينصره من عذاب الله،

***كما قَالَ:{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا}

[الْكَهْفِ: 17].

(وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ)

حين يحشرهم الله على وجوههم خزيًا

*** مسند أحمد ط الرسالة

8647 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:-

1-صِنْفٌ مُشَاةٌ،

2-وَ صِنْفٌ رُكْبَانٌ،
3-وَ صِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ
فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ، وَ كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟
وَ قَالَ عَفَّانُ:يَمْشُونَ
قَالَ:إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَ شَوْكٍ "

(عُمْيًا)

لا يبصرون

(وَبُكْمًا)

و لا ينطقون.

(وَصُمًّا)

*و لا يسمعون،

(مَّأْوَىٰهُمْ)

أي: مقرهم و دارهم

(جَهَنَّمُ)

التي جمعت كل هم و غم و عذاب.

(كُلَّمَا خَبَتْ)

أي: تهيأت للانطفاء

(زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا)

أي: سعرناها بهم لا يفتر عنهم العذاب،

و لا يقضى عليهم فيموتوا،

و لا يخفف عنهم من عذابها،

و لم يظلمهم الله تعالى،

(ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)

بل جازاهم بما كفروا بآياته و أنكروا البعث الذي أخبرت به الرسل

و نطقت به الكتب

و عجزوا ربهم و أنكروا تمام قدرته.

(وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا)

***بالية نخرة

(أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا)

أي: لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عن عقولهم الفاسدة.

*** بَعْدَ مَا صِرْنَا إِلَى مَا صِرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَى وَ الْهَلَاكِ، وَ التَّفَرُّقِ وَ الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ نُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً؟

فَاحْتَجَّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ،

وَ نَبَّهَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ،

بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ،فَقُدْرَتُهُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ أَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ:

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غَافِرٍ: 57]

وَ قَالَ{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [الْأَحْقَافِ: 33]

وَ قَالَ{أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[يس: 81، 83] .

۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

و هي أكبر من خلق الناس.

(قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ)

بلى، إنه على ذلك قدير.

(وَ) لكنه قد

(وَجَعَلَ)

لذلك

(لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ)

و لا شك، و إلا فلو شاء لجاءهم به بغتة،

و مع إقامته الحجج و الأدلة على البعث.

(فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ)

ظلمًا منهم و افتراء.

***بعد قيام الحجة عليهم

(إِلَّا كُفُورًا)

***إلا تماديا في باطلهم و ضلالهم

(قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ)

التي لا تنفذ و لا تبيد.

(إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ)

أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه،

مع أنه من المحال أن تنفد خزائن الله ،

(وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا)

و لكن الإنسان مطبوع على الشح و البخل.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن

يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ)

أي:لست أيها الرسول المؤيد بالآيات،

أول رسول كذبه الناس،

فلقد أرسلنا قبلك موسى بن عمران الكليم، إلى فرعون و قومه،و آتيناه

(تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ)

كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق، كـــــــ:-

الحية، و العصا، و الطوفان، و الجراد، و القمل، و الضفادع، و الدم،

و الرجز، و فلق البحر.

فإن شككت في شيء من ذلك

(فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ)

مع هذه الآيات

(إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا)

***أي ساحرا

***وَ قَدْ أُوتِيَ مُوسَى عليه السلام آيَاتٍ أخرَ كَثِيرَةً،

مِنْهَا ضربُه الْحَجَرَ بِالْعَصَا،

وَ خُرُوجُ الْأَنْهَارِ مِنْهُ،

وَ مِنْهَا تَظْلِيلُهُمْ بِالْغَمَامِ،
وَ إِنْزَالُ الْمَنِّ وَ السَّلْوَى،
وَ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أُوتُوهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ بِلَادَ مِصْرَ،
وَ لَكِنْ ذَكَرَ هَاهُنَا التِّسْعَ الْآيَاتِ الَّتِي شَاهَدَهَا فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، وَ كَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فَخَالَفُوهَا وَ عَانَدُوهَا كُفْرًا وَ جُحُودً

فـــــــــــ(قَالَ)

له موسى

(لَقَدْ عَلِمْتَ)

يا فرعون

(مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ)

الآيات

(إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ)

*** حُجَجًا وَ أَدِلَّةً عَلَى صِدْقِ مَا جِئْتُكَ به

منه لعباده، فليس قولك هذا بالحقيقة،

و إنما قلت ذلك ترويجًا على قومك، و استخفافًا لهم.

(وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)

أي: ممقوتًا، ملقى في العذاب، لك الويل و الذم و اللعنة.

(فَـأَرَادَ)

فرعون

(أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ)

أن: يجليهم و يخرجهم منها.

(فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا)

و أورثنا بني إسرائيل أرضهم و ديارهم.

***وَ فِي هَذَا بِشَارَةٌ لِمُحَمَّد ﷺبِفَتْحِ مَكَّةَ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَ كَذَلِكَ وَقَعَ؛ فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ مِنْهَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا*سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا}[الْإِسْرَاءِ: 76، 77]

وَ لِهَذَا أَوْرَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مَكَّةَ، فَدَخَلَهَا عُنْوَةً عَلَى أَشْهَرِ الْقَوْلَيْنِ،وَ قَهَرَ أَهْلَهَا، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ حِلْمًا وَ كَرَمًا، كَمَا أَوْرَثَ اللَّهُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا، وَ أَوْرَثَهُمْ بِلَادَ فِرْعَوْنَ وَ أَمْوَالَهُمْ و زروعهم وَ ثِمَارَهُمْ وَ كُنُوزَهُمْ،

كَمَا قَالَ: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشُّعَرَاءِ: 59]

و لهذا قال:

(وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا)

أي: جميعًا ليجازى كل عامل بعمله.

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سورة الكهف- بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾

(وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ)

هذا القرآن الكريم،[متضمن] لأمر العباد و نهيهم، و ثوابهم و عقابهم

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَـكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ} [النِّسَاءِ: 166]
أَيْ:مُتَضَمِّنًا عِلْمَ اللَّهِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلِعكم عَلَيْهِ، مِنْ أَحْكَامِهِ وَ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ.

(وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ)

أي: بالصدق و العدل و الحفظ من كل شيطان رجيم

***لَمْ يُشَب بِغَيْرِهِ، وَ لَا زِيدَ فِيهِ وَ لَا نُقص مِنْهُ، بَلْ وَصَلَ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِهِ شَدِيدُ الْقُوى، الْقَوِيّ الْأَمِينُ الْمَكِينُ الْمُطَاعُ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى.

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا)

من أطاع الله بالثواب العاجل و الآجل

(وَنَذِيرًا)

لمن عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل،

و يلزم من ذلك بيان ما بشر به و أنذر.

وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾

(وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ)

أي:و أنزلنا هذا القرآن مفرقًا، فارقًا بين الهدى و الضلال، و الحق و الباطل.
***فَصَّلْنَاهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

ثُمَّ نَزَلَ مُفرقًا مُنَجَّمًا عَلَى الْوَقَائِعِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي ثَلَاثٍ وَ عِشْرِينَ سَنَةً.

(لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ)

أي: على مهل، ليتدبروه و يتفكروا في معانيه، و يستخرجوا علومه.

(وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا)

أي: شيئًا فشيئًا، مفرقًا في ثلاث و عشرين سنة.

(وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)

فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك فيه و لا ريب، بوجه من الوجوه

فـــــ(قُلۡ)

لمن كذب به و أعرض عنه:

(ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ)

فليس لله حاجة فيكم، و لستم بضاريه شيئًا،و إنما ضرر ذلك عليكم،

(إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ)

فإن لله عبادًا غيركم، و هم الذين آتاهم الله العلم النافع:

(إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ)

*** جَمْعُ ذَقْن،وَ هُوَ أَسْفَلُ الْوَجْهِ

(لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا)

أي: يتأثرون به غاية التأثر، و يخضعون له.

(وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ)

عما لا يليق بجلاله، مما نسبه إليه المشركون.

(إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا)

بالبعث و الجزاء بالأعمال

(لَمَفۡعُولٗا)

لا خلف فيه و لا شك.

(وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ)

أي: على وجوههم

***عَطْفُ صِفَةٍ عَلَى صِفَةٍ لَا عَطْفُ سُجُودٍ عَلَى سُجُودٍ،كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِلَى المَلك القَرْم وَ ابْنِ الهُمام ... وَ لَيْث الكَتِيبَة فِي المُزْدَحَمْ ...

(يَبۡكُونَ)

***خُضُوعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ إِيمَانًا وَ تَصْدِيقًا بِكِتَابِهِ وَ رَسُولِهِ،

(وَيَزِيدُهُمۡ)

القرآن

(خُشُوعٗا ۩)

وَ يَزِيدُهُمُ اللَّهُ خُشُوعًا،

أَيْ: إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا كَمَا قَالَ:

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [مُحَمَّدٍ: 17] .

○و هؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و غيره، ممن أمن في وقت النبي ﷺو بعد ذلك.

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

يقول تعالى لعباده:

(قُلِ)

أي: أيهما شئتم.

***الميسر:قل-أيها الرسول-لمشركي قومك الذين أنكروا عليك الدعاء بقولك:يا ألله يا رحمن،**

(ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ)

فبأي أسمائه دعوتموه فإنكم تدعون ربًا واحداً

(أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ)

(فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ)

***الميسر: لأن أسماءه كلها حسنى**

أي: ليس له اسم غير حسن،

أي:حتى ينهى عن دعائه به،

أي: اسم دعوتموه به، حصل به المقصود،

و الذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، مما يناسب ذلك الاسم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}إِلَى أَنْ قَالَ:

{لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

[الْحَشْرِ: 22 -24]

(وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ)

أي: قراءتك

***صحيح البخاري

4723 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:«أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ»( )

(وَلَا تُخَافِتْ بِهَا)

فإن في كل من الأمرين محذورًا.

أما الجهر، فإن المشركين المكذبين به إذا سمعوه سبوه،

و سبوا من جاء به.

و أما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء

(وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ)

إشارة إلى قوله تعالى {ولا تجهر بصلاتك}.

(الدعاء) وسمي صلاة لأنه جزء منها أو لأن المعنى اللغوي للصلاة الدعاء

أي: بين الجهر و الإخفات

(سَبِيلًا)

أي: تتوسط فيما بينهما.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

4722 -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}[الإسراء: 110]

قَالَ:نَزَلَتْ وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمُخْتَفٍ بِمَكَّةَ،

كَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ،

فَإِذَا سَمِعَهُ المُشْرِكُونَ سَبُّوا القُرْآنَ وَ مَنْ أَنْزَلَهُ وَ مَنْ جَاءَ بِهِ،

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ}[الإسراء: 110]

أَيْ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعَ المُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا القُرْآنَ

{وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}[الإسراء: 110] عَنْ أَصْحَابِكَ فَلاَ تُسْمِعُهُمْ،

{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[الإسراء: 110] ()

(وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)

له الكمال و الثناء و الحمد و المجد من جميع الوجوه،

(تجهر) ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه.

(تخافت) تسر. (ابتغ) اقصد. (بين ذلك) بين الجهر والسر. (سبيلا) طريقا وسطا معتدلا

15-م12-ص293

المنزه عن كل آفة و نقص.

(ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ)

بل الملك كله لله الواحد القهار،

فالعالم العلوي و السفلي، كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء.

(وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ)

أي:لا يتولى أحدًا من خلقه ليتعزز به و يعاونه،

فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات،

في الأرض و لا في السماوات،

و لكنه يتخذ أولياء إحسانًا منه إليهم و رحمة بهم

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

(وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا)

أي: عظمه و أجله

بالإخبـــــار بـــــأوصافه العظيمة،

و بالثنــــــاء عليه، بـــــأسمائه الحسنى،

و بتمجيــــده بـــــأفعاله المقدسة،

و بتعظيمـــــه و إجلاله بـــــعبادته وحده لا شريك له،

و إخلاص الدين كله له.

تفسير سورة الكهف -و هي مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

***صحيح البخاري

3614 عن البَرَاء بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَرَأَ رَجُلٌ الكَهْفَ، وَ فِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ،

فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ،

فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:

«اقْرَأْ فُلاَنُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ»

***صحيح مسلم

(809)عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:

«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

*** صحيح الترغيب و الترهيب

736 -(صحيح)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)

هو الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال،

و بنعمه الظاهرة و الباطنة، الدينية و الدنيوية،

(ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ)

و أجل نعمه على الإطلاق:-

إنزاله الكتاب العظيم على عبده و رسوله، محمد ﷺ فحمد نفسه،

و في ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم،

و إنزال الكتاب عليهم،

ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين:-

على أنه الكامل من جميع الوجوه،

(وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ)

و هما نفي العوج عنه،

فنفي العـــــوج:-

يقتضي أنه ليس في أخباره كذب،

و لا في أوامره و نواهيه ظلم و لا عبث،

(قَيِّمٗا)

و إثبات أنه قيم مستقيم،

و إثبات الاستقامة:-

يقتضي أنه لا يخبر و لا يأمر إلا بأجل الإخبارات و هي الأخبار،

التي تملأ القلوب معرفة و إيمانا و عقلا كـــــــ:-

الإخبار بأسماء الله و صفاته و أفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة،

و أن أوامره و نواهيه، تزكي النفوس، و تطهرها و تنميها و تكملها،

لاشتمالهـــــا على:-

1-كمال العدل و القسط، و الإخلاص،

و العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له. و حقيق بكتاب موصوف.

بما ذكر، أن يحمد الله نفسه على إنزاله، و أن يتمدح إلى عباده به.

و قوله (لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ)

أي: لينذر بهذا القرآن الكريم، عقابه الذي عنده، أي:

قدره و قضاه، على من خالف أمره،

و هذا يشمل عقاب الدنيا و عقاب الآخرة،

و هذا أيضا، من نعمه أن خوف عباده،

و أنذرهم ما يضرهم و يهلكهم.

كما قال تعالى – لما ذكر في هذا القرآن وصف النار– قال:

(ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)

فمن رحمته بعباده، أن قيض العقوبات الغليظة على من خالف أمره،

و بينها لهم، و بين لهم الأسباب الموصلة إليها.

(وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

أي: و أنزل الله على عبده الكتاب، ليبشر المؤمنين به، و برسله و كتبه،

الذين كمل إيمانهم، فأوجب لهم عمل الصالحات،

و هي: الأعمال الصالحة، من واجب و مستحب، التي جمعت:-

الإخـــــلاص و المتـــــابعة،

(أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)

و هو الثواب الذي رتبه الله على الإيمان و العمل الصالح،و أعظمه و أجله:-

الفـــــوز برضا الله

و دخول الجنة، التي فيها

ما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر.

و في وصفه بالحسن:-

دلالة على أنه لا مكدر فيه و لا منغص بوجه من الوجوه،

إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تاما.

و مع ذلك فهذا الأجر الحسن

(مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا)

لا يزول عنهم، و لا يزولون عنه، بل نعيمهم في كل وقت متزايد،

و في ذكر التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به،

و هو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح،

موصل لما تستبشر به النفوس، و تفرح به الأرواح.

(وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا)

من اليهود و النصارى، و المشركين،

الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة،

فإنهم لم يقولوها عن علم و لا يقين، لا علم منهم،

و لا علم من آبائهم الذين قلدوهم و اتبعوهم،

بل إن يتبعون إلا الظن و ما تهوى الأنفس

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾
وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا
مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي
ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا
﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى
﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ
فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ
إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ

إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦

(مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ)

***أَسْلَافِهِمْ.

(كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ)

أي: عظمت شناعتها و اشتدت عقوبتها،

و أي شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد الذي يقتضـــــــي:-

1-نقصـــــــه،

2-و مشـــــــاركة غيره له في خصائص الربوبية و الإلهية،

3-و الكذب عليه؟

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)

***لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ سِوَى قَوْلِهِمْ، وَ لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا كَذِبُهُمْ وَ افْتِرَاؤُهُمْ

و لهذا قال هنا: (إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا)

أي: كذبا محضا ما فيه من الصدق شيء،

و تأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج،و الانتقال من شيء إلى أبطل منه،

فأخبـــــــر

أولا:-

أنه(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ)

و القول على الله بلا علم، لا شك في منعه و بطلانه،

ثم أخبر ثانيــا :-

أنه قول قبيح شنيع فقال: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)

ثم ذكر ثالثـا :-

مرتبته من القبح، و هو: الكذب المنافي للصدق.

و لما كان النبي ﷺحريصا على هداية الخلق، ساعيا في ذلك أعظم السعي،

فكـــــان ﷺ:-

O يفرح و يسر بهداية المهتدين،

O و يحزن و يأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺعليهم، و رحمة بهم،

أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء،

الذين لا يؤمنون بهذا القرآن،

كما قال في الآية الأخرى:

(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَن لا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}[فَاطِرٍ:8]

وَ قَالَ {وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}[النَّحْلِ:127]

وَ قَالَ {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[الشُّعَرَاءِ:3]

و هنا قال

(فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ)

أي: مهلكها، غما

(عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ)

*الميسر:على أثر تولِّي قومك و إعراضهم عنك

(إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا)

عليهم،

***قَالَ قَتَادَةُ: قَاتِل نَفْسَكَ غَضَبًا وَ حُزْنًا عَلَيْهِمْ.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: جَزَعًا.

وَ الْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ،

أَيْ: لَا تَأْسَفْ عَلَيْهِمْ،

بَلْ أَبْلِغْهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ،

فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا،

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.

❍و ذلك أن أجرك قد وجب على الله،

و هؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم،

و لكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار،

فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا،

فإشغالك نفسك غما و أسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك.

<u>و في هـــــذه الآية و نحـــــوها عبـــــرة:-</u>

فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه

1-التبليغ و السعي بكل سبب يوصل إلى الهداية

2–و سد طرق الضلال و الغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك،

فإن اهتدوا فبها و نعمت،

و إلا فلا يحزن و لا يأسف،

فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة،

بل يمضي على فعله الذي كلف به و توجه إليه،

و ما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته،

و إذا كان النبي ﷺيقول الله له:

(إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ)

و موسى عليه السلاميقول:

(**رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي**) **الآية،**

فمن عداهم من باب أولى و أحرى،

قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾

وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

(**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**)

***الميسر:جَمالا لها، و منفعة لأهلها؛**

○ومساكن طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها،

***صحيح مسلم

(2742)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ،

وَ إِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا،

فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ،

فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ اتَّقُوا النِّسَاءَ،

فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»

وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»( )

(لِنَبۡلُوَهُمۡ)

الجميع جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة و اختبارا.

(أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا)

أي: أخلصه و أصوبه،

(وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدًا)

*الميسر:ترابًا

(إن الدنيا حلوة خضرة) يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين (إن الله مستخلفكم فيها) أي جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) هكذا هو في جميع النسخ فاتقوا الدنيا ومعناه اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن]

(جُرُزًا)

لا نبات فيه.

○و مع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات،

فانية مضمحلة، و زائلة منقضية.

و ستعود الأرض صعيدا جرزا

قد ذهبت لذاتها،

و انقطعت أنهارها،

و اندرست أثارها،

و زال نعيمها،

هذه حقيقة الدنيا، قد جلاها الله لنا كأنها رأي عين،

و حذرنا من الاغترار بها،

و رغبنا في دار يدوم نعيمها،

و يسعد مقيمها، كل ذلك رحمة بنا،

فاغتر بزخرف الدنيا و زينتها، من نظر إلى ظاهر الدنيا، دون باطنها،

فصحبوا الدنيا صحبة البهائم،

و تمتعوا بها تمتع السوائم،

لا ينظرون في حق ربهم،

و لا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت،

و على أي حالة اتفقت،

فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، و فوات لذاته،

لا لما قدمت يداه من التفريط و السيئات.

❍و أما من نظر إلى باطن الدنيا،وعلم المقصود منها و منه:-

1-فإنه يتناول منها، ما يستعين به على ما خلق له،

2-و انتهز الفرصة في عمره الشريف،

3-فجعل الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، و شقة سفر، لا منزل إقامة،

4-فبذل جهده في معرفة ربه، و تنفيذ أوامره، و إحسان العمل،

فهذا بأحسن المنازل عند الله،

و هو حقيق منه بكل كرامة و نعيم، و سرور و تكريم،

فنظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى ظاهرها، و عمل لآخرته،

حين عمل البطال لدنياه،

فشتان ما بين الفريقين، و ما أبعد الفرق بين الطائفتين

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾

ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا)

و هذا الاستفهام بمعنى النفي، و النهي.

أي: لا تظن أن قصة أصحاب الكهف،

و ما جرى لهم، غريبة على آيات الله، و بديعة في حكمته،

و أنه لا نظير لها، و لا مجانس لها،

بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف و أعظم منها،

فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق و في أنفسهم،

ما يتبين به الحق من الباطل، و الهدى من الضلال،

و ليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب،

بل هي من آيات الله العجيبة،

و إنما المراد، أن جنسها كثير جدا،

فالوقوف معها وحدها، في مقام العجب و الاستغراب،نقص في العلم و العقل،

❍بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، و طريق العلم والإيقان.

و أضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل،

(وَٱلرَّقِيمِ)

أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم و قصتهم،

لملازمتهم له دهرا طويلا.

ثم ذكر قصتهم مجملة، و فصلها بعد ذلك فقال:

(إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ)

أي: الشباب،

(إِلَى ٱلۡكَهۡفِ)

يريدون بذلك التحصن و التحرز من فتنة قومهم لهم،

(فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً)

أي تثبتنا بها و تحفظنا من الشر، و توفقنا للخير

(وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا)

أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد،

و أصلح لنا أمر ديننا و دنيانا،

فجمعوا بين السعي و الفرار من الفتنة،

إلى محل يمكن الاستخفاء فيه،

و بين تضرعهم و سؤالهم لله تيسير أمورهم،

و عدم اتكالهم على أنفسهم و على الخلق،

فلذلك استجاب الله دعاءهم،

و قيض لهم ما لم يكن في حسابهم،

قال:(فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ)

أي أنمناهم

(سِنِينَ عَدَدًا)

و هي ثلاث مائة سنة و تسع سنين،

و في النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب و الخوف

و حفظ لهم من قومهم و ليكون آية بينة.

(ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ)

أي: من نومهم

(لِنَعْلَمَ)

***الميسر:لنُظهر للناس ما علمناه في الأزل؛**

(أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا)

***الميسر:فتتميّز أي الطائفتين المتنازعتين في مدة لبثهم أضبط في الإحصاء،**

و هل لبثوا يومًا أو بعض يوم، أو مدة طويلة؟

أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم،

كما قال تعالى:(وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) الآية،

و في العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب،

و معرفة لكمال قدرة الله تعالى و حكمته و رحمته،

فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤﴾

(نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم)

هذا شروع في تفصيل قصتهم،

و أن الله يقصها على نبيه

(بِٱلۡحَقِّۚ)

و الصدق،

الذي ما فيه شك و لا شبهة بوجه من الوجوه

(إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ)

و هذا من جموع القلة، يدل ذلك على أنهم دون العشرة،

(ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ)

بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، فشكر الله لهم إيمانهم،

(وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى)

فزادهم هدى، أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان،

زادهم الله من الهدى،

الذي هو العلم النافع، و العمل الصالح، كما قال تعالى:

(وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى)

***اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ أَمْثَالِهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ كَالْبُخَارِيِّ وَ غَيْرِهِ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَ تَفَاضُلِهِ، وَ أَنَّهُ يَزِيدُ وَ يَنْقُصُ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}

كَمَا قَالَ{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [مُحَمَّدٍ:17]

وَ قَالَ:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التَّوْبَةِ:124]

وَ قَالَ{لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الْفَتْحِ:4]

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ.

(وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)

أي صبرناهم و ثبتناهم، و جعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة،

❍و هذا من لطفه تعالى بهم و بره، أن وفقهم لـــــ:–

لإيمان و الهدى، و الصبر و الثبات، و الطمأنينة.

(إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

أي: الذي خلقنا و رزقنا، و دبرنا و ربانا،

هو خالق السماوات و الأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة،

لا تلك الأوثان و الأصنام، التي لا تخلق و لا ترزق،و لا تملك نفعا و لا ضرا،

و لا موتا و لا حياة و لا نشورا،

فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية،

***و صَبَّرناهم عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَ مَدِينَتِهِمْ،

وَ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ،
و إِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَ الْخَلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الرُّومِ وَ سَادَتِهِمْ،
وَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَوْمًا فِي بَعْضِ أَعْيَادِ قَوْمِهِمْ،
وَ كَانَ لَهُمْ مُجْتَمَعٌ فِي السَّنَةِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ،
وَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَ الطَّوَاغِيتَ، وَ يَذْبَحُونَ لَهَا،
وَ كَانَ لَهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ عَنِيدٌ يُقَالُ لَهُ: "دَقْيَانُوسُ"
وَ كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَ يَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.
فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ لِمُجْتَمَعِهِمْ ذَلِكَ،
وَ خَرَجَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ مَعَ آبَائِهِمْ وَ قَوْمِهِمْ،
وَ نَظَرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ قَوْمُهُمْ بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِمْ،
عَرَفُوا أَنَّ هَذَا الَّذِي يَصْنَعُهُ قَوْمُهُمْ مِنَ السُّجُودِ لِأَصْنَامِهِمْ وَ الذَّبْحِ لَهَا،
لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ.
فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَوْمِهِ،
وَ يَنْحَازُ مِنْهُمْ وَ يَتَبَرَّزُ عَنْهُمْ نَاحِيَةً.
فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ مِنْهُمْ وَحْدَهُ أَحَدَهُمْ،
جَلَسَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ،
فَجَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ،
وَ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمَا،
وَ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ،
وَ جَاءَ الْآخَرُ، وَ جَاءَ الْآخَرُ، وَ جَاءَ الْآخَرُ،
وَ لَا يَعْرِفُ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الْآخَرَ،
وَ إِنَّمَا جَمَعَهُمْ هُنَاكَ الَّذِي جَمَعَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ،
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ

***صحيح مسلم

(2638) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:

الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ،وَ مَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»( )

و لهذا قالوا:(لَن نَّدۡعُوَاْ)

***و لن: لِنَفْيِ التَّأْبِيدِ، أَيْ: لَا يَقَعُ مِنَّا هَذَا أَبَدًا؛

لِأَنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَٰلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا؛

(مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ)

أي: من سائر المخلوقات

(لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا)

أي:إن دعونا معه آلهة، بعد ما علمنا أنه الرب الإله الذي لا تجوز و لا تنبغي العبادة، إلا له

(شَطَطًا)

أي: ميلا عظيما عن الحق، و طريقا بعيدة عن الصواب،

فجمعوا بين الإقرار بـــــــ:-

1-توحيد الربوبية،

(الأرواح جنود مجندة) قال العلماء معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه وقيل إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها وقيل إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافقه في شيمه ألفه ومن باعده نافره وخالفه

15-م13-ص294

2–و توحيد الإلهية،

3–و التزام ذلك،

4–و بيان أنه الحق و ما سواه باطل،

و هذا دليل على كمال معرفتهم بربهم،و زيادة الهدى من الله لهم.

هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾

(هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ)

***هَلا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا؟!

لما ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان و الهدى،

التفتوا إلى ما كان عليه قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله،

فمقتوهم، و بينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم،

بل في غاية الجهل و الضلال

فقالوا:(لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ)

أي:بحجة و برهان، على ما هم عليه من الباطل،

و لا يستطيعون سبيلا إلى ذلك،

و إنما ذلك افتراء منهم على الله و كذب عليه،

و هذا أعظم الظلم،

و لهذا قال:(فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا)

***بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ، فَيُقَالُ:
إِنَّ مَلِكَهُمْ لَمَّا دَعَوْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، أَبَى عَلَيْهِمْ، و تَهَدّدهم وَ تَوَعَّدَهُمْ،
وَ أَمَرَ بِنَزْعِ لِبَاسِهِمْ عَنْهُمُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ قَوْمِهِمْ،
و أجَّلهم لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يُرَاجِعُونَ دِينَهُمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ.
وَ كَانَ هَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ،
فَإِنَّهُمْ فِي تِلْكَ النَّظْرَةِ تَوَصَّلُوا إِلَى الْهَرَبِ مِنْهُ. وَ الْفِرَارِ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتْنَةِ.
وَ هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ عِنْدَ وُقُوعِ الْفِتَنِ فِي النَّاسِ:-
أَنْ يَفِرَّ الْعَبْدُ مِنْهُمْ خَوْفًا عَلَى دينه، كما جاء فِي الْحَدِيثِ:
صحيح البخاري
3300 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يُوشِكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ،
يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَ مَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»( )
***فَفِي هَذِهِ الْحَالِ تُشْرَعُ الْعُزْلَةُ عَنِ النَّاسِ،
وَ لَا تُشْرَعُ فِيمَا عَدَاهَا، لِمَا يَفُوتُ بِهَا مِنْ تَرْكِ الْجَمَاعَاتِ وَ الْجُمَعِ.

(شعف الجبال) أعلاها

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾

أي:قال بعضهم لبعض:

إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم و أديانكم،

فلم يبق إلا النجاء من شرهم،

و التسبب بالأسباب المفضية لذلك،

لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم، و لا بقائهم بين أظهرهم،

و هم على غير دينهم،

(فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ)

أي: انضموا إليه و اختفوا فيه

(يَنشُرْ)

***يبسط

(لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا)

***أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هُرابًا إِلَى الْكَهْفِ، فَأَوَوْا إِلَيْهِ،

فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ،

و تَطَلَّبهم الْمَلِكُ

فَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ، و عَمَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ.

❍و فيما تقدم، أخبر أنهم دعوه بقولهم

(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)

فجمعوا بين التبري من حولهم و قوتهم،

و الالتجاء إلى الله في صلاح أمرهم، و دعائه بذلك،

و بين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك،

لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته،
و هيأ لهم من أمرهم مرفقا،
فحفظ أديانهم و أبدانهم،
و جعلهم من آياته على خلقه،
و نشر لهم من الثناء الحسن،
ما هو من رحمته بهم،
و يسر لهم كل سبب،
حتى المحل الذي ناموا فيه،كان على غاية ما يمكن من الصيانة،و لهذا قال:-

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

(وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ)

حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل عنه يمينا،
***تَمِيلُ؛ وَ ذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأُفُقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ؛

(وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ)

و عند غروبها تميل عنه شمالا فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها،

***** تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ، وَ هُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، فَدَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ،**

***الميسر:إذا غربت تتركهم إلى جهة اليسار**

(وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ)

أي: من الكهف أي: مكان متسع،

***الميسر:فلا تؤذيهم حرارة الشمس**

❍و ذلك ليطرقهم الهواء و النسيم،

و يزول عنهم الوخم و التأذي بالمكان الضيق،

خصوصا مع طول المكث،

و ذلك من آيات الله الدالة على قدرته و رحمته بهم،

و إجابة دعائهم و هدايتهم حتى في هذه الأمور،

و لهذا قال: (ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ)

أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله،

فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين،

(وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا)

أي: لا تجد من يتولاه و يدبره، على ما فيه صلاحه،

و لا يرشده إلى الخير و الفلاح،

لأن الله قد حكم عليه بالضلال، و لا راد لحكمه.

(وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ)

أي: تحسبهم أيها الناظر إليهم كأنهم أيقاظ، و الحال أنهم نيام،

قال المفسرون:و ذلك لأن أعينهم منفتحة، لئلا تفسد،

فالناظر إليهم يحسبهم أيقاظا، و هم رقود،

(وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ)

و هذا أيضا من حفظه لأبدانهم،

لأن الأرض من طبيعتها، أكل الأجسام المتصلة بها،

فكان من قدر الله، أن قلبهم على جنوبهم يمينا و شمالا بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم،

و الله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب

و لكنه تعالى حكيم، أراد أن تجري سننه في الكون،

و يربط الأسباب بمسبباتها.

(وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ)

أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف،

أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته،

فكان باسطا ذراعيه (مـــــاد)

(بِٱلۡوَصِيدِۚ)

أي: الباب، أو فنائه، هذا حفظهم من الأرض.

و أما حفظهم من الآدميين،

فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم،

***بِالْفِنَاءِ، وَ هُوَ الْبَابُ،

وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} [الْهُمَزَةِ: 8]

أَيْ: مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ.

***رَبَضَ كَلْبُهُمْ عَلَى الْبَابِ كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْكِلَابِ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ.

وَ هَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَ طَبِيعَتِهِ،

حَيْثُ يَرْبِضُ بِبَابِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ،

وَ كَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ -

كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ -وَلَا صُورَةٌ كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْحَسَنُ ( )

وَ شَمَلَتْ كَلْبَهُمْ بَرَكَتُهُمْ،

فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.

وَ هَذَا فَائِدَةُ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ؛

فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَ خَبَرٌ وَ شَأْنٌ.

(لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا)

سنن النسائي

4281 عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَلَا كَلْبٌ،

15-م14-ص295

فلو اطلع عليهم أحد، لامتلأ قلبه رعبا، و ولى منهم فرارا،
و هذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة،
و هم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من المدينة جدا،
و الدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم،
يشتري لهم طعاما من المدينة، و بقوا في انتظاره،
فدل ذلك على شدة قربهم منها.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى: (وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ)
أي: من نومهم الطويل

(لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ)
أي: ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة من مدة لبثهم.

(قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ)

(قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)

***كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي أَوَّلِ نَهَارٍ،وَ اسْتِيقَاظُهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ

وَ لِهَذَا اسْتَدْرَكُوا فَقَالُوا: {أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}

و هذا مبني على ظن القائل،

و كأنهم وقع عندهم اشتباه. في طول مدتهم، فلهذا

(قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ)

فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء، جملة و تفصيلا

و لعل الله تعالى – بعد ذلك– أطلعهم على مدة لبثهم،

لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم،

و أخبر أنهم تساءلوا، و تكلموا بمبلغ ما عندهم،

و صار آخر أمرهم:– الاشتبـــــــاه،

فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم،

و أنه لا يفعل ذلك عبثا.

و من رحمته بمن طلب علم الحقيقة في الأمور المطلوب علمها،

و سعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك،

و بما ذكر فيما بعده من قوله.

(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا)

فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلا على ما ذكر،

(فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ)

ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، و جرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، أي: بالدراهم،

التي كانت معهم، ليشتري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها،

***فِضَّتِكُمْ هَذِهِ.

وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدِ اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ دَرَاهِمَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، فَتَصَدَّقُوا مِنْهَا وَ بَقِيَ مِنْهَا؛

(فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ)

و أمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه و ألذه

***أَطْيَبُ طَعَامًا، كَقَوْلِهِ:

{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} [النُّورِ:21]

وَ قَوْلِهِ {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الْأَعْلَى:14]

وَ مِنْهُ الزَّكَاةُ الَّتِي تُطَيِّبُ الْمَالَ وَ تُطَهِّرُهُ.

لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ إِنَّمَا هُوَ الطَّيِّبُ الْحَلَالُ

(وَلْيَتَلَطَّفْ)

و أن يتلطف في ذهابه و شرائه و إيابه، و أن يختفي في ذلك،

و يخفي حال إخوانه،

(وَلَا يُشْعِرَنَّ)

***يعلمن

(بِكُمْ أَحَدًا)

(إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ)

*الميسر :يطّلعوا

(عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ)

*الميسر:فتصيروا كفاراً،

Oو ذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم،و ظهورهم عليهم

***يَعْنُونَ أَصْحَابَ دَقْيَانُوسَ،

☼أنهـــــم بين أمـــــرين:–

1–إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم و على دينهم،

2–و إما أن يفتنوهم عن دينهم، و يردوهم في ملتم،

(وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا)

* الميسر:و لن تفوزوا بمطلبكم مِن دخول الجنة -إن فعلتم ذلك- أبداً.

Oو في هذه الحال، لا يفلحون أبدا،

بل يحشرون في دينهم و دنياهم و أخراهم،

و قد دلت هاتان الآيتان، على عدة فـــــوائـــــد:–

1–الحث على العلم، و على المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

2–الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، و أن يقف عند حده.

3–صحة الوكالة في البيع و الشراء، و صحة الشركة في ذلك.

4–جواز أكل الطيبات، و المطاعم اللذيذة،

إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله

(فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)

و خصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك

و لعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها.

5-الحث على التحرز، و الاستخفاء،

و البعد عن مواقع الفتن في الدين،

و استعمال الكتمان في ذلك على الإنسان و على إخوانه في الدين.

6-شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين،

و فرارهم من كل فتنة، في دينهم و تركهم أوطانهم في الله.

7-ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار و المفاسد، الداعية لبغضه، و تركه،

و أن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، و المتأخرين لقولهم:

(وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا)

الاعجاز في أصحاب الكهف

الرابط

الطب الحديث و التقليب:

لنرى ما ذا يقول أصحاب الاختصاص اليوم وبعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة سنة على نزول الآية في شأن من نام أكثر من أربع وعشرين ساعة

على جهة واحدة بدون تحريك بسبب من الأسباب كأن يكون قد تعرض لكسور كثيرة يصعب معها تحريكه لتفادي تراخي الجبائر وفساد الكسور مرة أخرى، أو فيمن تعرض لأضرار كثيرة نتيجة حادث أو حريق أو غيره.

يقول الدكتور عبد الحميد دياب:-

إن من الإصابات الشائعة والصعبة العلاج التي تعترض الأطباء الممارسين في المشافي هي مشكلة حدوث (الخشكرشات) أو ما تسمى بقرحة السرير Bed Sore عند المرضى الذين تضطرهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض والعمود الفقري أو الشلل أو حالات السبات الطويل، والخشكريشات هذه عبارة عن قرحات وتموت في الجلد والأنسجة التي تحت الجلد بسبب نقص التروية الدموية عند بعض مناطق الجلد، نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع، وأكثر ما تحصل في المنطقة العجزية والإليتين وعند لوحي الكتفين وكعبي القدمين، ولا وقاية من حدوث هذه الخشكريشات سوى تقليب المريض، بحيث لا يبقى بدون تقليب أكثر من (12) ساعة، وقد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عز وجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة

و إن كانت قصة أهل الكهف كلها تدخل في نطاق المعجزة(7).

وجه الإعجاز:

لم نعرف هذه الحقيقة العلمية عن تقليب المريض -الذي لا يستطيع تقليب نفسه- لم نعرفها إلا اليوم أو قل إن شئت في القرن العشرين أو قبله بقليل حتى لا نتهم بالمبالغة، وإذا كان ذلك كذلك فمن الذي أخبر محمد النبي الأمي -صلى الله عليه وسلم- قبل عشرة قرناً من اليوم بهذه الحقيقة التي عجز عنها أهل الطب والاختصاص؟

هذه الحقيقة العلمية التي جاءت في سياق الخبر عن قوم أحبوا الله وأحبهم فنالتهم العناية الإلهية العظيمة التي لم تتوقف عند إنقاذهم من أعدائهم فحسب، بل تعدته إلى تقليبهم أثناء نومهم لئلا يصيبهم ما يصيب النائم لفترة طويلة دون تقليب، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:18]

و لم يذكر الجهات الأخرى لأن النوم على الظهر هو الأصل في النائم حيث مركز الثقل يكون فيه أكبر وأوسع،

فهل كان محمد -ﷺ- يعلم بهذه الحقيقة؟

و هو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ليتفوق على علماء العصر بهذه الحقيقة؟

لا شك أن الذي أخبره بتلك الحقيقة هو الله الذي خلق الإنسان،

و الذي يعلم ما يحتاجه هذا المخلوق،

و أن الذي أنزلها وأنزل غيرها من الحقائق على محمد هو الله،

و أن القرآن بعد ذلك حق من عند الله،

و هو كلامه الذي أنزله على عبده و رسوله -ﷺ-

و ليس كلام بشر افتراه أو علّمه بشر، ليكون لنا نوراً وبرهاناً و منهاجاً إلى يوم القيامة، به نسترشد وعليه نعوّل،

و منه نستزيد بالإيمان و الهدى و الحق، و صدق الله القائل:

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54].

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ
يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ
وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ
كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا
وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا
﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ
مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ
ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن
كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ
إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾

(وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ)

***الميسر:أطْلَعنا عليهم أهل ذلك الزمان،**

❍يخبر الله تعالى، أنه أطلع الناس على حال أهل الكهف،

و ذلك – و الله أعلم– بعدما استيقظوا،

و بعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما،و أمروه بالاستخفاء و الإخفاء

***الميسر:بعد أن كشف البائع نوع الدراهم التي جاء بها مبعوثهم؛**

❍فأراد الله أمرا فيه صلاح للناس، و زيادة أجر لهم،

و هو أن الناس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان،

(لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ)

لا شك فيه و لا مرية و لا بعد،

(وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ)

بعدما كانوا

(يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ)

فمن مثبت للوعد و الجزاء، و من ناف لذلك،

❍فجعل قصتهم زيادة بصيرة و يقين للمؤمنين،

و حجة على الجاحدين،

و صار لهم أجر هذه القضية، و شهر الله أمرهم،

و رفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم.

(فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ)

الله أعلم بحالهم و مآلهم،

(قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ)

و قال من غلب على أمرهم، و هم الذين لهم الأمر:

(لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا)

أي: نعبد الله تعالى فيه، و نتذكر به أحوالهم، و ما جرى لهم،

و هذه الحالة محظورة، نهى عنها النبي ﷺو ذم فاعليها،

و لا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها،

فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف و الثناء عليهم،

و أن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: –

ابنوا عليهم مسجدا، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم،

و حذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت الحال إلى ما ترى.

*** صحيح مسلم

قال النبي ﷺ :-

أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَ صَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»

و في هذه القصة، دليل على:–

أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها.

و أن من حرص على العافية عافاه الله

و من أوى إلى الله، آواه الله، و جعله هداية لغيره،

و من تحمل الذل في سبيله و ابتغاء مرضاته،

كان آخر أمره و عاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ)

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف،

(رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ)

اختلافا صادرا عن رجمهم بالغيب، و تقولهم بما لا يعلمون،

***الميسر:قول بالظن من غير دليل**

و أنهم فيهم على ثلاثة أقوال:

1-من يقول: ثلاثة، رابعهم كلبهم،

و منهم من يقول: خمسة، سادسهم كلبهم.

و هذان القولان، ذكر الله بعدهما، أن هذا رجم منهم بالغيب،

فدل على بطلانهما.

2-من يقول: سبعة، و ثامنهم كلبهم،

و هذا – و الله أعلم- الصواب

لأن الله أبطل الأولين و لم يبطله،

فدل على صحته،

و هذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته،

و لا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية و لا دنيوية،

و لهذا قال تعالى:

(قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم)

***إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،
إِذْ لَا احْتِيَاجَ إِلَى الْخَوْضِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بِلَا عِلْمٍ،
لَكِنْ إِذَا أَطْلَعَنَا عَلَى أَمْرٍ قُلْنَا بِهِ، وَ إِلَّا وَقَفْنَا حَيْثُ وَقَفْنَا.

(مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ)

و هم الذين أصابوا الصواب و علموا إصابتهم.

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَثْنَى اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، كَانُوا سَبْعَةً.

(فَلَا تُمَارِ)

أي: تجادل و تحاج

(فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا)

أي: مبنيا على العلم و اليقين،

و يكون أيضا فيه فائدة،

و أما المماراة المبنية على الجهل و الرجم بالغيب،

أو التي لا فائدة فيها،

إما أن يكون الخصم معاندا،

أو تكون المسألة لا أهمية فيها،

و لا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف و نحو ذلك،

فإن في كثرة المناقشات فيها، و البحوث المتسلسلة:-

1-تضييعـــــا للزمان،

2-و تأثيـــــرا في مودة القلوب بغير فائدة.

(وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم)

أي: في شأن أهل الكهف

(مِّنۡهُمۡ)

أي: من أهل الكتاب

(أَحَدًا)

و ذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب و الظن،

الذي لا يغني من الحق شيئا،

ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى:-

1-إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه،

2-أو لكونه لا يبالي بما تكلم به،

3-و ليس عنده ورع يحجزه،

○و إذا نهي عن استفتاء هذا الجنس،

فنهيه هو عن الفتوى، من باب أولى و أحرى.

و فـــــي الآيـــــة أيضـــــا:-

دليل على أن الشخص، قد يكون منهيا عن استفتائه في شيء، دون آخر.

فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره،

لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا،

إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، و ما أشبهها.

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

هذا النهي كغيره، و إن كان لسبب خاص و موجها للرسول ﷺ

فإن الخطاب عام للمكلفين،

فنهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلة،

(إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ)

من دون أن يقرنه بمشيئة الله،

و ذلك لما فيه من المحذور،

و هو:الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري، هل يفعله أم لا؟

و هل تكون أم لا؟

و فيه رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالا و ذلك محذور محظور،

لأن المشيئة كلها لله

(وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

و لِما في ذكر مشيئة الله، مـــــن:–

1–تيسيــــــر الأمر و تسهيله،

2–و حصـــول البركة فيه، و الاستعانة من العبد لربه،

*** صحيح البخاري

3424 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ:
سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً،
تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
فَلَمْ يَقُلْ، وَ لَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا، سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "
قَالَ شُعَيْبٌ وَ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ: تِسْعِينَ وَ هُوَ أَصَحُّ

(وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)

–و لما كان العبد بشرا، لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة،

أمره الله أن يستثني بعد ذلك، إذا ذكر، ليحصل المطلوب،و ينفع المحذور،

❍و يؤخذ من عموم قوله: (وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)

*** مَعْنَاهُ إِذَا نَسِيتَ الِاسْتِثْنَاءَ، فَاسْتَثْنِ عِنْدَ ذِكْرِكَ لَهُ.
***وَ يَحْتَمِلُ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ،
قَدْ أَرْشَدَ مَنْ نَسِيَ الشَّيْءَ فِي كَلَامِهِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛
لِأَنَّ النِّسْيَانَ مَنْشَؤُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ فَتَى مُوسَى:

{وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} [الْكَهْفِ: 63]

وَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ،

فَإِذَا ذَهَبَ الشَّيْطَانُ ذَهَبَ النِّسْيَانُ، فَذِكْرُ اللَّهِ سَبَبٌ لِلذِّكْرِ

وَ لِهَذَا قَالَ: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} .

❍الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله،

و يذكر العبد ما سها عنه،

و كذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه،

و لا يكونن من الغافلين،

و لما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة،

و عدم الخطأ في أقواله و أفعاله،أمره الله أن يقول:

(عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا)

فأمره أن يدعو الله و يرجوه،

و يثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشد.

و حري بعبد، تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده،

و يستفرغ وسعه في طلب الهدى و الرشد، أن يوفق لذلك،

و أن تأتيه المعونة من ربه، و أن يسدده في جميع أموره.

وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾

لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب، في شأن أهل الكهف،

لعدم علمهم بذلك،

و كان الله عالم الغيب و الشهادة، العالم بكل شيء،أخبره بمدة لبثهم،

(وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا)

***هَذَا خبَرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُوله ﷺبِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ، مُنْذُ أَرْقَدَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمْ وَ أَعْثَرَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ،
وَ أَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهِلَالِيَّةِ،
وَ هِيَ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ،
فَإِنَّ تَفَاوُتَ مَا بَيْنِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ ثَلَاثُ سِنِينَ؛
فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةٍ: {وَازْدَادُوا تِسْعًا}

(قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ)

❍و أن علم ذلك عنده وحده

(لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

فإنه من غيب السماوات و الأرض، و غيبها مختص به،

فما أخبر به عنها على ألسنة رسله،

فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه،

و ما لا يطلع رسله عليه، فإن أحدا من الخلق، لا يعلمه.

و قوله: (أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ)

*** فَلَا أَحَدَ أَبْصَرُ مِنَ اللَّهِ وَ لَا أَسْمَعُ.

❍تعجب من كمال سمعه و بصره،

و إحاطتهما بالمسموعات و المبصرات،

بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات.

ثم أخبر عن انفراده بالولاية العامة و الخاصة،

فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين،

يخرجهم من الظلمات إلى النور و ييسرهم لليسرى، و يجنبهم العسرى،

و لهذا قال: (مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ)

أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه و كرمه،

و لم يكلهم إلى أحد من الخلق.

(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا)

و هذا يشمل الحكم الكوني القدري، و الحكم الشرعي الديني،

فإنه الحاكم في خلقه، قضاء و قدرا، و خلقا و تدبيرا،

و الحاكم فيهم، بأمره و نهيه، و ثوابه و عقابه.

❍و لما أخبر أنه تعالى، له غيب السماوات و الأرض،

فليس لمخلوق إليها طريق، إلا عن الطريق التي يخبر بها عباده،

و كان هذا القرآن، قد اشتمل على كثير من الغيوب،

أمر تعالى بالإقبال عليه فقال:

وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾

(وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ)

التلاوة هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحى الله إليك بمعرفة معانيه و فهمها،

و تصديق أخباره، و امتثال أوامره و نواهيه،

فإنه الكتاب الجليل، الذي

(لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ)

أي:لا تغير و لا تبدل لصدقها و عدلها،

و بلوغها من الحسن فوق كل غاية

(وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا)

فلتمامها استحال عليها التغيير و التبديل،

فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك أو شيء منه

و في هذا تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب على الإقبال عليه.

(وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا)

أي: لن تجد من دون ربك، ملجأ تلجأ إليه،

و لا معاذا تعوذ به،

فإذا تعين أنه وحده الملجأ في كل الأمور،

تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه، في السراء و الضراء،

المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسئول في جميع المطالب.

*****كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[الْمَائِدَةِ:67]**

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ
عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ
فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ
كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن
سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞
وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا
بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا
﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ
عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾

(وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ)

يأمر تعالى نبيه محمدا ﷺ، و غيره أسوته، في الأوامر و النواهي –

أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين

(ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ)

أي: أول النهار و آخره

(يُرِيدُونَ)

يريدون بذلك

(وَجۡهَهُۥ)

وجه الله،

فوصفهم بالعبادة و الإخلاص فيها،

***صحيح مسلم

(2413) عَنْ سَعْدٍ، بن أبي وقاص فِيَّ نَزَلَتْ:

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِوَالْعَشِيِّ }[الأنعام: 52]قَالَ:

نَزَلَتْ فِي سِتَّةٍ: أَنَا وَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْهُمْ،

وَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا لَهُ: تُدْنِي هَؤُلَاءِ "

ففيهـــــــــــا:-

1-الأمر بصحبة الأخيار،

2–و مجاهدة النفس على صحبتهم، و مخالطتهم

و إن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى

(وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ)

أي: لا تجاوزهم بصرك، و ترفع عنهم نظرك.

***وَ لَا تُجَاوِزْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ:يَعْنِي: تَطْلُبُ بَدَلَهُمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَ الثَّرْوَةِ.

(تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

فإن هذا ضار غير نافع، و قاطع عن المصالح الدينية

فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا،

فتصير الأفكار و الهواجس فيها،

و تزول من القلب الرغبة في الآخرة،

فإن زينة الدنيا تروق للناظر، و تسحر العقل،

فيغفل القلب عن ذكر الله، و يقبل على اللذات و الشهوات، فـــــ:–

1–يضيــــــع وقته،

2–و ينفـــرط أمره،

3–فيخسر الخسارة الأبدية، و الندامة السرمدية،

***اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيُهَلِّلُونَهُ وَ يَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَكْبُرُونَهُ،
وَ يَسْأَلُونَهُ بِكُرَةً وَ عَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ،
سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ
أَوْ ضُعَفَاءَ. يُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ،

حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺأَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُ
وَ لَا يُجَالِسَهُمْ بِضُعَفَاءِ أَصْحَابِهِ كَبِلَالٍ وَ عَمَّارٍ وَ صُهَيْبٍ وَ خَبَّابٍ
وَ ابْنِ مَسْعُودٍ،
وَ لْيُفْرِدْ أُولَئِكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ. فَنَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ،
فَقَالَ: {وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}الْآيَةَ [الْأَنْعَامِ:52]الْآيَةَ،
وَ أَمَرَهُ أَنْ يُصَبِّرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ،
فَقَالَ: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}
و لهذا قال: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا)
غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره.

(وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ)

أي: صار تبعا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، و سعى في إدراكه،
و لو كان فيه هلاكه و خسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى:
(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)الآية.

(وَكَانَ أَمْرُهُۥ)

أي: مصالح دينه و دنياه

(فُرُطًا)

أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته،
لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به،
و لأنه لا يدعو إلا لما هو متصف به،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[طَه:131]

***الميسر:و صار أمره في جميع أعماله ضياعًا و هلاكًا.**

و دلـــــت الآيـــــة:-

على أن الذي ينبغي أن يطاع، و يكون إماما للناس، مـــــن:-

1-امتـــــــــلأ قلبه بمحبة الله،

2-و فــــــاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله،

3-و اتبــــــع مراضي ربه، فقدمها على هواه،

○فحفظ بذلك ما حفظ من وقته،

و صلحت أحواله، و استقامت أفعاله،

و دعا الناس إلى ما من الله به عليه،

فحقيق بذلك، أن يُتَّبع و يُجْعل إماما،

و الصبر المذكور في هذه الآيـــــة:-

هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر،

و بتمامه تتم باقي الأقسام.

و فــــــي الآيـــــة:-

استحباب الذكر و الدعاء و العبادة طرفي النهار،

لأن الله مدحهم بفعله،

و كل فعل مدح الله فاعله

دل ذلك على أن الله يحبه،

و إذا كان يحبه فإنه يأمر به، و يرغب فيه.

وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾

(وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ)

أي:قل للناس يا محمد: هو الحق من ربكم أي:

قد تبين الهدى من الضلال، و الرشد من الغي،

و صفات أهل السعادة، و صفات أهل الشقاوة،

و ذلك بما بينه الله على لسان رسوله، فإذا بان و اتضح، و لم يبق فيه شبهة.

(فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ)

أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب :-

1-تـــــوفيق العبد،

2-و عــــــدم توفيقه،

و قد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان و الكفر، و الخير و الشر،

فمن آمن فقد وفق للصواب،

و من كفر فقد قامت عليه الحجة،

و ليس بمكره على الإيمان، كما قال تعالى

(لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)

و ليس في قوله: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

الإذن في كلا الأمرين،

و إنما ذلك تهديد و وعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام،

كما ليس فيها ترك قتال الكافرين.

ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقـــــال:

(إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا)

***أرصدنا

(لِلظَّٰلِمِينَ)

بالكفر و الفسوق و العصيان

(نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ)

أي: سورها المحيط بها،

فليس لهم منفذ و لا طريق و لا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية.

(وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ)

أي: يطلبوا الشراب، ليطفئ ما نزل بهم من العطش الشديد.

(يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ)

أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته.

(يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ)

أي: فكيف بالأمعاء و البطون، كما قال تعالى

(يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ* وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ)

(بِئۡسَ ٱلشَّرَابُۚ)

الذي يراد ليطفئ العطش، و يدفع بعض العذاب،

فيكون زيادة في عذابهم، و شدة عقابهم.

*** كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [مُحَمَّدٍ:15]

وَ قَالَ تَعَالَى: {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الْغَاشِيَةِ:5] أَيْ: حَارَّةٍ،

كَمَا قَالَ:{وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرَّحْمَنِ:44]

(وَسَآءَتۡ)

النار

(مُرۡتَفَقًا)

و هذا ذم لحالة النار، أنها ساءت المحل، الذي يرتفق به،

فإنها ليست فيها ارتفاق،

و إنما فيها العذاب العظيم الشاق،

الذي لا يفتر عنهم ساعة،

و هم فيه مبلسون قد أيسوا من كل خير،

و نسيهم الرحيم في العذاب، كما نسوه.

***مَنْزِلًا و مَقِيلا وَ مُجْتَمَعًا وَ مَوْضِعًا لِلارْتِفَاقِ

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الْفُرْقَانِ:66]

○ثم ذكر الفريق الثاني فقال: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)

أي: جمعوا بيـــــن :-

الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره،

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ)

من الواجبات و المستحبات

(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)

و إحســـــان العمـــــل:-

أن يريد العبد العمل لوجه الله، متبعا في ذلك شرع الله.

فهذا العمل لا يضيعه الله، و لا شيئا منه،

بل يحفظه للعاملين، و يوفيهم من الأجر، بحسب عملهم و فضله و إحسانه،

و ذكر أجرهم بقوله:

(أُوْلَٰٓئِكَ)

أي: أولئك الموصوفون بالإيمان و العمل الصالح،

(لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ)

لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجنت من فيها،

و كثرت أنهارها، فصارت

(تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ)

من تحت تلك الأشجار الأنيقة، و المنازل الرفيعة،

(يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ)

و حليتهم فيها الذهب،

(وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن)

و لباسهم فيها الحرير الأخضر من

(سُندُسٍ)

و هو ما رق منه

***كالقمصان

(وَإِسْتَبْرَقٍ)

و هو الغليظ من الديباج،

***و فيه بريق

(مُتَّكِـِٔينَ)

***الِاتِّكَاءُ قِيلَ: الِاضْطِجَاعُ وَ قِيلَ التَّرَبُّعُ فِي الْجُلُوسِ.
وَ هُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هَاهُنَا وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ:
صحيح البخاري
5398 - عنه أَبِي جُحَيْفَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا»( )
فِيهِ الْقَوْلَانِ.

(فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ)

و هي السرر المزينة، المجملة بالثياب الفاخرة

فإنها لا تسمى أريكة حتى تكون كذلك،

و في اتكائهم على الأرائك، ما يدل على:–

كمال الراحة، و زوال النصب و التعب،

و كون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون،

و تمام ذلك الخلود الدائم و الإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة

(نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ)

للعاملين

(وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا)

(متكئا) حال كوني متكئا. و المتكئ هو من استوى قاعدا على وطائه وتمكن من قعوده.
و قيل هو المائل على أحد شقيه والوطاء هو ما يقعد عليه

***حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَ مَقِيلًا وَ مَقَامًا، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ:

{بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الْكَهْفِ:29]

يرتفقون بها، و يتمتعون بما فيها، مما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين،

من الحبرة و السرور، و الفرح الدائم، و اللذات المتواترة، و النعم المتوافرة،

و أي مرتفق أحسن من دار، أدنى أهلها،

يسير في ملكه و نعيمه و قصوره و بساتينه ألفي سنة،

و لا يرى فوق ما هو فيه من النعيم،

قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه، و زيد من المطالب، ما قصرت عنه الأماني،

و مـــــع ذلـــــك:-

فنعيمهم على الدوام متزايد في أوصافه و حسنه،

فنسأل الله الكريم، أن لا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان،

بشر ما عندنا من التقصير و العصيان.

و دلت الآية الكريمة و ما أشبهها:-

على أن الحلية، عامة للذكور و الإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة

لأنه أطلقها في قوله (يُحَلَّوْنَ)

و كذلك الحرير و نحوه.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا

وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾

(وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ)

يقول تعالى لنبيه ﷺ:-

اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، و الكافر لها،

و ما صدر من كل منهما، من الأقوال و الأفعال،

و ما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل و الآجل، و الثواب،

ليعتبروا بحالهما، و يتعظوا بما حصل عليهما، و ليس معرفة أعيان الرجلين،

و في أي زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة،

فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، و التعرض لما سوى ذلك من التكلف.

فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة الله الجليلة

(جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ)

جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب.

(وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ)

أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات،

و خصوصا أشرف الأشجار، العنب و النخل،

فالعنب في وسطها،

و النخل قد حف بذلك،

و دار به، فحصل فيه من حسن المنظر و بهائه،

و بروز الشجر و النخل للشمس و الرياح، التي تكمل بها الثمار،

و تنضج و تتجوهر،

و مع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعا،

فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟

و هل لهما ماء يكفيهما؟

(كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا)

فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: –

ثمرها و زرعها ضعفين، أي: متضاعفا

(و) أنها

(وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا)

أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء،

و مع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة.

(وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا)

***الميسر:و شققنا بينهما نهراً لسقيهما بسهولة و يسر.**

وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

(وَكَانَ لَهُۥ)

أي: لذلك الرجل

(ثَمَرٌ)

أي: عظيم كما يفيده التنكير، أي:-

قد استكملت جنتاه ثمارهما، و ارجحنت أشجارهما،

و لم تعرض لهما آفة أو نقص،

فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث،

و لهذا اغتر هذا الرجل بهما، و تبجح و افتخر، و نسي آخرته.

(فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ)

أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن،

و هما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماجريات المعتادة

مفتخرا عليه:

(أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا)

فخر بكثرة ماله، و عزة أنصاره من عبيد، و خدم، و أقارب،

و هذا جهل منه،

و إلا فأي: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة نفسية، و لا صفة معنوية،

و إنما هو بمنزله فخر الصبي بالأماني، التي لا حقائق تحتها،

***قَالَ قَتَادَةُ: تِلْكَ -وَاللَّهِ-أُمْنِيَةُ الْفَاجِرِ: كَثْرَةُ الْمَالِ وَ عِزَّةُ النَّفَرِ.

❍ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله و ظلمه،

و ظن لما دخل جنته.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾
قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾
فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ
مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم
مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ
أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ)

***الميسر:و هو ظالم لنفسه بالكفر بالبعث، و شكه في قيام الساعة،**

فــــــ(قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ)

أي: تنقطع و تضمحل

(هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا)

فاطمأن إلى هذه الدنيا، و رضى بها، و أنكر البعث،

فقال:(وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي)

على ضرب المثل

(لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا)

أي ليعطيني خيرا من هاتين الجنتين، و هذا لا يخلو من أمــــــرين:-

1-إما أن يكون عالمـــــا بحقيقة الحال،

فيكون كلامه هذا على وجه التهكم و الاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره،

2-و إما أن يكون هـــــذا ظنـــــه في الحقيقة،

فيكون من أجهل الناس، و أبخسهم حظا من العقل،

فأي: تلازم بين عطاء الدنيا و عطاء الآخرة،

حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة،

بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه و أصفيائه،

و يوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب،

و الظاهر أنه يعلم حقيقة الحال،

و لكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم و الاستهزاء،

بدليل قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾

فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه،

من القول ما جرى، يدل على تمرده و عناده.

***كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} [فُصِّلَتْ:50] ،

وَ قَالَ{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا} [مَرْيَمَ:77]

أَيْ: فِي الدار الآخرة، تألى على الله عز وَجَلَّ،

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾

أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحا له، و مذكرا له حاله الأولى،

التي أوجده الله فيها في الدنيا

﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾

فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد و الإمداد،

و واصل عليك النعم،

و نقلك من طور إلى طور،

حتى سواك رجلا كامل الأعضاء و الجوارح المحسوسة، و المعقولة،

و بذلك يسر لك الأسباب،

و هيأ لك ما هيأ من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك و قوتك،

بل بفضل الله تعالى عليك،

فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب،

ثم من نطفة ثم سواك رجلا و تجحد نعمته، و تزعم أنه لا يبعثك،

و إن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك؟!

هذا مما لا ينبغي و لا يليق.

***وَ هَذَا إِنْكَارٌ وَ تَعْظِيمٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ،
الَّذِي خَلَقَهُ وَ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مَنْ طِينٍ وَ هُوَ آدَمُ،
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الْبَقَرَةِ:280]
أَيْ: كَيْفَ تجحَدُون رَبَّكُمْ، وَ دَلَالَتُهُ عَلَيْكُمْ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ،
كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ
إِلَّا وَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَعْدُومًا ثُمَّ وُجِدَ،
وَ لَيْسَ وُجُودُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَ لَا مُسْتَنِدًا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛

لِأَنَّهُ بِمَثابَتِهِ فَعُلِمَ إِسْنَادُ إِيجَادِهِ إِلَى خَالِقِهِ،
وَ هُوَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛

❍و لهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله و استمراره على كفره و طغيانه،

قال مخبرا عن نفسه، على وجه الشكر لربه، و الإعلان بدينه،

عند ورود المجادلات و الشبه

(لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي)

***أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِكَ، بَلْ أَعْتَرِفُ لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ الْوَحْدَانِيَّةِ

(وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا)

***بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

❍فأقر بربوبيته لربه، و انفراده فيها،و التزم طاعته و عبادته،

و أنه لا يشرك به أحدا من المخلوقين،

(وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ)

***وَ لِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ حَالِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيَقُلْ:

{مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ}

وَ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

*** مسند أحمد ط الرسالة

مسند أحمد ط. الرسالة

8426 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ لِي نَبِيُّ اللهِ ﷺ:

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ تَحْتَ الْعَرْشِ؟

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، فِدَاكَ أَبِي وَ أُمِّي، قَالَ:
أَنْ تَقُولَ: لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ - قَالَ أَبُو بَلْجٍ:
وَ أَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ - فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:
أَسْلَمَ عَبْدِي، وَ اسْتَسْلَمَ ( )
قَالَ:فَقُلْتُ لِعَمْرٍو :قَالَ أَبُو بَلْجٍ: قَالَ عَمْرٌو:
قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ:لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ،
فَقَالَ: " لَا، إِنَّهَا فِي سُورَةِ الْكَهْفِ:

{وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ} [الكهف: 39]

ثم أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان و الإسلام،

و لو مع قلة ماله و ولد، أنها هي النعمة الحقيقية،

و أن ما عداها معرض للزوال و العقوبة عليه و النكال، فقـــــال:

(إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا)

أي: قال للكافر صاحبه المؤمن: أنــــت –

و إن فخرت علي بكثرة مالك و ولدك،

و رأيتني أقل منك مالا و ولدا –

فإن ما عند الله، خير و أبقى،

و ما يرجى من خيره و إحسانه، أفضل من جميع الدنيا،

التي يتنافس فيها المتنافسون.

قال الأرناؤوط:-حديث صحيح دون قوله: "تحت العرش"، و هذا إسناد حسن،

15-م17-ص298

فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾

(فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا)

أي: على جنتك التي طغيت بها و غرتك

(حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)

أي: عذابا، بمطر عظيم أو غيره،

(فَتُصۡبِحَ)

بسبب ذلك

(صَعِيدٗا)

أي: قد اقتلعت أشجارها، و تلفت ثمارها، و غرق زرعها، و زال نفعها.

*** بَلْقَعًا تُرَابًا أَمْلَسَ

(زَلَقًا)

لَا يَثْبُتُ فِيهِ قَدم.

وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كالجُرز الَّذِي لَا يُنْبِتُ شَيْئًا.

(أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا)

الذي مادتها منه

(غَوۡرٗا)

أي: غائرا في الأرض

***وَ هُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِي يُطْلَبُ وَجْهَ الْأَرْضِ،

فَالْغَائِرُ يُطْلَبُ أَسْفَلَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الْمُلْكِ:30]

أَيْ: جَارٍ وَ سَائِحٍ.

(فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا)

أي: غائرا لا يستطاع الوصول إليه بالمعاول و لا بغيرها،

و إنما دعا على جنته المؤمن، غضبا لربه،

لكونها غرته و أطغته، و اطمأن إليها،لعلـــــه ينيب،

و يراجع رشده،

و يبصر في أمره.

فاستجاب الله دعاءه

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ)

أي: أصابه عذاب، أحاط به، و استهلكه،فلم يبق منه شيء،

و الإحاطة بالثمر يستلزم تلف جميع أشجاره، و ثماره، و زرعه، فندم كل الندامة، و اشتد لذلك أسفه

(فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا)

أي على كثرة نفقاته الدنيوية عليها،

***يُصفّق كَفَّيْهِ مُتَأَسِّفًا مُتَلَهِّفًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَذْهَبَهَا عَلَيْهِ

(وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا)

حيث اضمحلت و تلاشت،

فلم يبق لها عوض، و ندم أيضا على شركه، و شره

و لهذا قال:

(وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا)

قال الله تعالى:(وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)

أي:لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه:-

(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا)

فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا، أشد ما كان إليهم حاجة،

و ما كان بنفس منتصرا،

و كيف ينتصر، أي:-

يكون له أنصارا على قضاء الله و قدره الذي إذا أمضاه و قدره،

لو اجتمع أهل السماء و الأرض على إزالة شيء منه، لم يقدروا؟

و لا يستبعد من رحمة الله و لطفه، أن صاحب هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، و رزقه الله الإنابة إليه، و راجع رشده، و ذهب تمرده و طغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه،

و أن الله أذهب عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا،

و إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا.

و فضل الله لا تحيط به الأوهام و العقول، و لا ينكره إلا ظالم جهول

(وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)

(هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ)

***الميسر:** **في مثل هذه الشدائد تكون الولاية و النصرة**

(لِلَّهِ ٱلْحَقِّ)

(هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا)

***جزاءا

(وَخَيْرٌ عُقْبًا)

***الميسر: و خير عاقبة لمن تولاهم من عباده المؤمنين.**

***الْأَعْمَالُ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:-

ثَوَابُهَا خَيْرٌ،وَ عَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ، كُلُّهَا خَيْرٌ.

❍أي في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى،و آثر الحياة الدنيا،

o و الكرامة لمن آمن، و عمل صالحا، و شكر الله،و دعا غيره لذلك،

o تبين و توضح أن الولاية لله الحق،فمن كان مؤمنا به تقيا، كان له وليا،

فأكرمه بأنواع الكرامات، و دفع عنه الشرور و المثلات،

o و من لم يؤمن بربه و يتولاه، خسر دينه و دنياه،

فثوابه الدنيوي و الأخروي، خير ثواب يرجى و يؤمل،

ففـــــي هــــذه القصـــــة العظيمــــــة:-

1-اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعما دنيوية،

فألهته عن آخرته و أطغته،و عصى الله فيها، أن مآلها الانقطاع و الاضمحلال،

2-و أنه و إن تمتع بها قليلا فإنه يحرمها طويلا

3-و أن العبد ينبغي له - إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده-

أن يضيف النعمة إلى موليها و مسديها،

و أن يقول: (مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ)

ليكون شاكرا لله متسببا لبقاء نعمته عليه، لقوله:

(وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ)

4-و فيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا و شهواتها،

بما عند الله من الخير لقوله:

(إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ)

5-و فيها أن المال و الولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله

كما قال تعالى:(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)

و فيه الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه و كفره و خسرانه،

خصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، و فخر عليهم،

6-و فيها أن ولاية الله و عدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار

و حق الجزاء، و وجد العاملون أجرهم

فـــــ(هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)

أي: عاقبة و مآلا.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

(وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)

يقول تعالى لنبيه ﷺأصلا و لمن قام بوراثته بعده تبعا:

اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور،

و يعرفوا ظاهرها و باطنها،

فيقيسوا بينها و بين الدار الباقية، و يؤثروا أيهما أولى بالإيثار.

(كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ)

و أن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض،

فيختلط نباتها، تنبت من كل زوجٍ بهيج،

فبينا زهرتها و زخرفها تسر الناظرين،و تفرح المتفرجين و تأخذ بعيون الغافلين،

(فَأَصْبَحَ هَشِيمًا)

*****يابسا**

(تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ)

***** تُفَرِّقُهُ وَ تَطْرَحُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشِّمَالِ**

❍فذهب ذلك النبات الناضر، و الزهر الزاهر، و المنظر البهي،

فأصبحت الأرض غبراء ترابا،

قد انحرف عنها النظر، و صدف عنها البصر،

و أوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا،

بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، و فاق فيها على أقرانه و أترابه،

و حصل درهمها و دينارها، و اقتطف من لذته أزهارها

و خاض في الشهوات في جميع أوقاته،

و ظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه،

إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره،

و زالت لذته و حبوره،

و استوحش قلبه من الآلام و فارق شبابه و قوته و ماله، و انفرد بصالح،

أو سيئ أعماله، هنالك يعض الظالم على يديه،

حين يعلم حقيقة ما هو عليه،

و يتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات،

بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة و الأعمال الصالحات،

فالعاقل الجازم الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة،

و يقول لنفسه: قدري أنك قد مت، و لا بد أن تموتي،

فأي الحالتين تختـــــــارين؟

1-الاغترار بزخرف هذه الدار، و التمتع بها كتمتع الأنعام السارحة،

2-أم العمل، لدار أكلها دائم و ظلها،

و فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟

فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، و ربحه من خسرانه.

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا)

*****هُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ،**

وَ هَذِهِ الْحَالِ وَ كَثِيراً مَا يَضْرِبُ اللَّهُ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِهَذَا الْمَثَلِ كَمَا فِي سُورَةِ يُونُسَ:{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} الْآيَةَ [يُونُسَ:24]

وَ قَالَ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ} [الزُّمَرِ:21]

وَ قَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ:{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[الْحَدِيد:20]

وَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

صحيح مسلم

(2742)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:-

قَالَ:إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ،

وَ إِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَ اتَّقُوا النِّسَاءَ،

فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»

وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ

خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾

(ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)

***الميسر :الأموال و الأولاد جَمال و قوة في هذه الدنيا الفانية،**

*** كَقَوْلِهِ {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آلِ عِمْرَانَ:14]

وَ قَالَ تَعَالَى:{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}

[التَّغَابُن:15]

أَيْ: الْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَ التَّفَرُّغُ لِعِبَادَتِه،

خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ اشْتِغَالِكُمْ بِهِمْ وَالْجَمْعِ لَهُمْ، وَ الشَّفَقَةِ الْمُفْرِطَةِ عَلَيْهِمْ؛

وَ لِهَذَا قَالَ:{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ }

قَالَ ابْنُ عَبَّاس، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ:-

"الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

***عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

"الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ:- سُبْحَانَ اللَّهِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ.

***عن عُثْمَان بْنِ عَفَّانَ ﷺ عَنْ: "الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ" مَا هِيَ؟

فَقَالَ:هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ الْحَمْدُ لله، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ،

وَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

***وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عباس قوله: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}

قَالَ: هِيَ ذِكْرُ اللَّهِ، قَوْلُ:-

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَ تَبَارَكَ اللَّهُ،

وَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،

وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ،

وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ،

وَ الصِّيَامُ، وَ الصَّلَاةُ، وَ الْحَجُّ، وَ الصَّدَقَةُ، وَ الْعِتْقُ، وَ الْجِهَادُ، وَ الصِّلَةُ،

وَ جَمِيعُ أَعْمَالِ الْحَسَنَاتِ.
وَ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، الَّتِي تَبْقَى لِأَهْلِهَا فِي الْجَنَّةِ، مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

❍و لهذا أخبر تعالى أن المال و البنين، زينة الحياة الدنيا، أي:-

ليس وراء ذلك شيء،

و أن الذي يبقى للإنسان و ينفعه و يسره، الباقيات الصالحات

و هذا يشمل جميع الطاعات الواجبة و المستحبة مـــــــن:-

حقـــــوق الله،

و حقـــوق عباده،

مـــــــــــــن:-

صلاة، و زكاة، و صدقة، و حج، و عمرة، و تسبيح، و تحميد، و تهليل، و تكبير، و قراءة، و طلب علم نافع، و أمر بمعروف، و نهي عن منكر،

و صلة رحم،

و بر والدين،

و قيام بحق الزوجات، و المماليك، و البهائم،

و جميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا)

فهذه خير عند الله ثوابا

(وَخَيْرٌ أَمَلًا)

فثوابها يبقى،

و يتضاعف على الآباد،

و يؤمل أجرها و برها و نفعها عند الحاجة،

فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون،

و يستبق إليها العاملون، و يجد في تحصيلها المجتهدون،

و تأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا وحالها و اضمحلالها

ذكر أن الذي فيها نوعـــــان:

1–نوع من زينتهـــــا، يتمتع به قليلا

ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه،

بل ربما لحقته مضرته و هو المال و البنون

2–و نوع يبقـــــى و ينفـــع صاحبه على الدوام،و هي الباقيات الصالحات.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

يخبر تعالى عن حال يوم القيامة،

و ما فيه من الأهوال المقلقة، و الشدائد المزعجة

فقال: (وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} [الطُّورِ:9، 10]

***كما قال تَعَالَى:{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النَّمْلِ:88]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}[الْقَارِعَةِ:5]

وَ قَالَ:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا}[طَه:105-107]

يَقُولُ تَعَالَى:إِنَّهُ تَذْهَبُ الْجِبَالُ، وَ تَتَسَاوَى الْمِهَادُ، وَ تَبْقَى الْأَرْضُ {قَاعًا صَفْصَفًا}

أَيْ: سَطْحًا مُسْتَوِيًا لَا عِوَجَ فِيهِ

{وَلا أَمْتًا}

أَيْ: لَا وَادِيَ وَ لَا جَبَلَ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً }

أَيْ: بَادِيَةً ظَاهِرَةً، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَم لِأَحَدٍ وَ لَا مَكَانٌ يُوَارِي أَحَدًا، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ضَاحُونَ لِرَبِّهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

○أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيبا،

ثم يجعلها كالعهن المنفوش، ثم تضمحل و تتلاشى،

و تكون هباء منبثا،و تبرز الأرض فتصير قاعا صفصفا، لا عوج فيه و لا أمتا،

(وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا)

و يحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض،

فلا يغادر منهم أحدا،

بل يجمع الأولين و الآخرين، من بطون الفلوات، و قعور البحار،

و يجمعهم بعدما تفرقوا، و يعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقا جديدا،

*** كما قَالَ:{قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}
[الْوَاقِعَةِ:50، 49]

وَ قَالَ:{ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هُودٍ:103]

(وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا)

فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم و ينظر في أعمالهم،

و يحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه و لا ظلم،

***يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-
أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ صَفًّا وَاحِدًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النَّبَإِ:38]
وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ يَقُومُونَ صُفُوفًا صُفُوفًا، كَمَا قَالَ:
{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[الْفَجْرِ:22]

○و يقول لهم: (لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

*** هَذَا تَقْرِيعٌ لِلْمُنْكِرِينَ لِلْمَعَادِ، وَ تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ؛

○أي: بلا مال، و لا أهل، و لا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها،

و المكاسب في الخير و الشر ، التي كسبوها كما قال تعالى:

(وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ)

و قال هنا، مخاطبا للمنكرين للبعث،

و قد شاهدوه عيانا:

(بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا)

أي: أنكرتم الجزاء على الأعمال، و وعد الله و وعيده،

فها قد رأيتموه و ذقتموه،

(وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ)

***الميسر:و وُضِع كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله،**

○فحينئذ تحضر كتب الأعمال التي كتبتها الملائكة الكرام فتطير لها القلوب،

و تعظم من وقعها الكروب،

و تكاد لها الصم الصلاب تذوب،

(فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ)

و يشفق منها المجرمون،

***الميسر:فتبصر العصاة خائفين مما فيه**

(مِمَّا فِيهِ)

*الميسر: بسبب ما قدموه من جرائمهم،

oفإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، محصى عليهم أقوالهم و أفعالهم،

(وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا)

***يَا حَسْرَتَنَا وَ وَيْلَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي أَعْمَارِنَا

(مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً)

أي: لا يترك خطيئة صغيرة و لا كبيرة،

(إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ)

***ضبطها و حفظها

إلا و هي مكتوبة فيه،

محفوظة لم ينس منها عمل سر و لا علانية،

و لا ليل و لا نهار،

(وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ)

لا يقدرون على إنكاره

***مِنْ خَيْرٍ أَوَ شَرٍّ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}[آلِ عِمْرَانَ:30]

وَ قَالَ تَعَالَى:{يُنَبَّأُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [الْقِيَامَةِ:13]

وَ قَالَ تَعَالَى:{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}[الطَّارِقِ:9]

أَيْ: تَظْهَرُ الْمُخَبَّآتُ وَ الضَّمَائِرُ.

(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

*الميسر: مثقال ذرة،

فلا يُنقَص طائع من ثوابه،

ولا يُزاد عاص في عقابه.

○فحينئذ يجازون بها، و يقررون بها، و يخزون، و يحق عليهم العذاب،

ذلك بما قدمت أيديهم و أن الله ليس بظلام للعبيد،

بل هم غير خارجين عن عدله و فضله.

***قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النِّسَاءِ:40]

وَ قَالَ:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[الْأَنْبِيَاءِ:47]

وَ الْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ)

يخبر تعالى، عن عداوة إبليس لآدم و ذريته،

و أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، إكراما و تعظيما،

و امتثالا لأمر الله، فامتثلوا ذلك

(فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ)

و قال:(ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا)

و قال:(أَنَا خَيۡرٌ مِّنۡهُ)

فتبين بهذا عداوته لله و لأبيكم و لكم

(فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ)

***فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ،

يُقَالُ فَسَقت الرُّطَبَة:-

إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْمَامِهَا

وَ فَسَقَتِ الْفَأْرَةُ مِنْ جُحْرِها:-

إِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ لِلْعَيْثِ وَ الْفَسَادِ.

(أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ)

فكيف تتخذونه و ذريته أي: الشياطين

(أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا)

أي: بئس ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان،

الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء و المنكر عن ولاية الرحمن،

الذي كل السعادة و الفلاح و السرور في ولايته.

و فـــي هـــذه الآيـــة:-

الحث على اتخاذ الشيطان عدوا، و الإغراء بذلك،

و ذكر السبب الموجب لذلك، و أنه لا يفعل ذلك إلا ظالم،

و أي ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي وليا، و ترك الولي الحميد؟

قال تعالى:(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ

و قال تعالى:(إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

***خَانَهُ أَصْلُهُ؛ فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ،

وَ أَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ،

كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ

صحيح مسلم

(2996)عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَ خُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ،

وَ خُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»( )

***فَعِنْدَ الْحَاجَةِ نَضَحَ كُلُّ وِعَاءٍ بِمَا فِيهِ، وَ خَانَهُ الطَّبْعُ عِنْدَ الْحَاجَةِ،

وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّم بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ وَ تَشَبَّهَ بِهِمْ، وَ تَعَبَّدَ وَ تَنَسَّكَ

***فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ، وَ عَصَى بِالْمُخَالَفَةِ.

۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ

(الجان) الجن (مارج) المارج اللهب المختلط بسواد النار

فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾

(مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

يقول تعالى:ما أشهدت الشياطين و هؤلاء المضلين خلق السماوات و الأرض

(وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ)

أي: ما أحضرتهم ذلك، و لا شاورتهم عليه،

فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟!

بل المنفرد بالخلق و التدبير،و الحكمة و التقدير، هو الله، خالق الأشياء كلها،

المتصرف فيها بحكمته،

فكيف يجعل له شركاء من الشياطين، يُوَالَّوْن و يُطَاعُوْن، كما يطاع الله،

و هم لم يخلقوا و لم يشهدوا خلقا، و لم يعاونوا الله تعالى؟!

و لهذا قال: (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا)

أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من الشئون،

أي: ما ينبغي و لا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطا من التدبير

لأنهم ساعون في إضلال الخلق و العداوة لربهم،

فاللائق أن يقصيهم و لا يدنيهم.

(وَيَوۡمَ يَقُولُ)

و لما ذكر حال من أشرك به في الدنيا،و أبطل هذا الشرك غاية الإبطال،

و حكم بجهل صاحبه و سفهه

أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة

و أن الله يقول لهم: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ﴾

بزعمكم أي: على موجب زعمكم الفاسد،

و إلا فبالحقيقة ليس لله شريك في الأرض، و لا في السماء،

أي: نادوهم، لينفعوكم، و يخلصوكم من الشدائد،

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾

لأن الحكم و الملك يومئذ لله،

لا أحد يملك مثقال ذرة من النفع لنفسه و لا لغيره.

*** كَمَا قَالَ: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} [الْقَصَصِ:64]

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم ﴾

أي: بين المشركين و شركائهم

﴿مَّوْبِقًا ﴾

أي، مهلكا

يفرق بينهم و بينهم،

و يبعد بعضهم من بعض،

و يتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم،و كفرهم بهم،و تبريهم منهم،

كما قال تعالى ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾

وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾

(وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ)

لما كان يوم القيامة و حصل من الحساب ما حصل

و تميز كل فريق من الخلق بأعمالهم،

و حقت كلمة العذاب على المجرمين فرأوا جهنم قبل دخولها،

(فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا)

فانزعجوا و اشتد قلقهم لظنهم أنهم مواقعوها

و هذا الظن قال المفسرون:–إنه بمعنى اليقين، فأيقنوا أنهم داخلوها

***إِنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ،
مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،
***فَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ، تَحَقَّقُوا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا،
لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ لَهُمْ،
فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ وَ الْخَوْفِ مِنْهُ قَبْلَ وُقُوعِهِ، عَذَابٌ نَاجِزٌ.

(وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا)

أي: معدلا يعدلون إليه، و لا شافع لهم من دون إذنه،

و في هذا من التخويف و الترهيب، ما ترعد له الأفئدة و القلوب.

***الميسر:و لم يجدوا عنها معدلا للانصراف عنها إلى غيرها.**

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ)

***الميسر:و لقد وضّحنا ونوّعنا في هذا القرآن للناس**

(مِن كُلِّ مَثَلٍۚ)

***الميسر:أنواعًا كثيرة من الأمثال .....لماذا ؟ ليتعظوا**

○يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن، و جلالته، و عمومه،

و أنه صرف فيه من كل مثل، أي: -

من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، و السعادة الأبدية،

و كل طريق يعصم من الشر و الهلاك،

ففيه أمثال الحلال والحرام،

و جزاء الأعمال، و الترغيب و الترهيب،

و الأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادا، و طمأنينة، و نورا،

و هذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن و تلقيه بالانقياد و الطاعة،

و عدم المنازعة له في أمر من الأمور،

و مع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين،

(ويجادلون بالباطل لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)

و لهذا قال :(وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا)

أي: مجادلة و منازعة فيه، مع أن ذلك، غير لائق بهم، و لا عدل منهم،

<u>و الذي أوجب له ذلك و عدم الإيمان بالله،إنما هــــــو:-</u>

الظلم و العناد،

لا لقصور في بيانه و حجته، و برهانه،

و إلا فلو جاءهم العذاب، و جاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم،

***صحيح البخاري

1127 - عن عَلِي بْنَ أَبِي طَالِبٍ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺطَرَقَهُ وَ فَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عليه السلاملَيْلَةً، فَقَالَ:

«أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟»

فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ،

فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا،

فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا،

ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَ هُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ،

وَ هُوَ يَقُولُ:{وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}[الكهف: 54]( )

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ

إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾

(وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ)

أي: ما منع الناس من الإيمان،

و الحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى و الضلال،

و الحق و الباطل، قد وصل إليهم، و قامت عليهم حجة الله،

فلم يمنعهم عدم البيان،

(طرقه) أتاه ليلا. (أنفسنا بيد الله) أي نحن معذورون بعدم القيام لأننا نائمون ولا نملك أمرنا. (يبعثنا) يوقظنا.(ولم يرجع إلي) لم يجبني بشيء.
(يضرب فخذه) متعجبا من سرعة جوابه. (جدلا) مجادلة

بل منعهم الظلم و العدوان، عن الإيمان

*** كَمَا قَالَ أُولَئِكَ لِنَبِيِّهِمْ:{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[الشُّعَرَاءِ:187]

(إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ)

***الميسر:إلا تحدِّيهم للرسول،**

و طلبهم أن تصيبهم سنة الله في إهلاك السابقين عليهم،

○فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، و عادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا بالعذاب،

(أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلًا)

أو يرون العذاب قد أقبل عليهم،

و رأوه مقابلة و معاينة

أي: فليخافوا من ذلك،

و ليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له.

وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ٥٦

(وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ)

أي: لم نرسل الرسل عبثا،

و لا ليتخذهم الناس أربابا،

و لا ليدعوا إلى أنفسهم،

بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير،

و ينهون عن كل شر،

و يبشرونهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل و الآجل،

و ينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل و الآجل،

فقامت بذلك حجة الله على العباد،

(وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ)

و مع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة بالباطل،

***الميسر:** و مع وضوح الحق يخاصم الذين كفروا رسلهم بالباطل تعنتًا**

(لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ)

***ليُضْعِفُوا به

○فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم،

و في دحض الحق و إبطاله،

و استهزءوا برسل الله و آياته،

و فرحوا بما عندهم من العلم،

و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون

و يظهر الحق على الباطل

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)

و مـــــن حكمـــــة الله و رحمتــــــه:-

أن تقييضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل،

من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق و تبين شواهده و أدلته،

و تبين الباطل و فساده، فبضدها تتبين الأشياء.

(وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي)

***اتَّخَذُوا الْحُجَجَ وَ الْبَرَاهِينَ وَ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرُّسُلُ

(وَمَآ أُنذِرُواْ)

وَ مَا أَنْذَرُوهُمْ وَ خَوَّفُوهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ

{هُزُوٗا }

أَيْ: سَخِرُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ، وَ هُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ

إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ

فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ

لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾

وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾

(وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ)

يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلما، و لا أكبر جرما، من عبد ذكر بآيات الله

و بين له الحق من الباطل، و الهدى من الضلال، و خوف و رهب و رغب

(فَأَعْرَضَ عَنْهَا)

فلم يتذكر بما ذكر به، و لم يرجع عما كان عليه،

(وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ)

من الذنوب، و لم يراقب علام الغيوب

فهذا أعظم ظلما من المعرض الذي لم تأته آيات الله و لم يذكر بها،

و إن كان ظالما، فإنه أخف ظلما من هذا،

لكون العاصي على بصيرة و علم، أعظم ممن ليس كذلك،

(إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)

و لكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته،

و نسيانه لذنوبه،

و رضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها،

أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه

(أَكِنَّةً)

أي: أغطية محكمة

(أَن يَفْقَهُوهُ)

*** لِئَلَّا يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَ الْبَيَانَ

○تمنعه أن يفقه الآيات و إن سمعتها،

فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب

(وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ)

*** صَمَمٌ مَعْنَوِيٌّ عَنِ الرَّشَادِ

أي:صمما يمنعهم من وصول الآيات،

و من سماعها على وجه الانتفاع و إذا كانوا بهذه الحالة،

فليس لهدايتهم سبيل

(وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا)

لأن الذي يرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالما،

و أما هؤلاء، الذين أبصروا ثم عموا،

و رأوا طريق الحق فتركوه، و طريق الضلال فسلكوه،

و عاقبهم الله بإقفال القلوب و الطبع عليها،

فليس في هدايتهم حيلة و لا طريق

و فـــــي هــــــذه الآيــــــة :-

من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم و بينه،

و لا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب و زاجر عن ذلك.

(وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ)

ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته و رحمته،

و أنه يغفر الذنوب، و يتوب الله على من يتوب، فيتغمده برحمته،

و يشمله بإحسانه،

(لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ)

و أنه لو آخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب،

(لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ)

و لكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة،

بل يمهل و لا يهمل، و الذنوب لا بد من وقوع آثارها،

و إن تأخرت عنها مدة طويلة، و لهذا قال:

(بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ)

أي:لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم

(لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا)

لا بد لهم منه، و لا مندوحة لهم عنه، و لا ملجأ، و لا محيد عنه،

و هذه سنته في الأولين و الآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب

بل يستدعيهم إلى التوبة و الإنابة،

فإن تابوا و أنابوا، غفر لهم و رحمهم، و أزال عنهم العقاب،

و إلا فإن استمروا على ظلمهم و عنادهم،

و جاء الوقت الذي جعله موعدا لهم، أنزل بهم بأسه، و لهذا قال:-

(وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ)

أي: بظلمهم، لا بظلم منا

(وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا)

أي: وقتا مقدرا، لا يتقدمون عنه و لا يتأخرون.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ)

يخبر تعالى عن نبيه موسى ﷺ، و شدة رغبته في الخير و طلب العلم،أنه قال

(لِفَتَىٰهُ)

أي: خادمه الذي يلازمه في حضره و سفره،

و هو (يوشع بن نون) الذي نبأه الله بعد ذلك

(لَآ أَبْرَحُ)

أي:لا أزال مسافرا و إن طالت علي الشقة، و لحقتني المشقة،

(حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ)

حتى أصل إلى

(مَجْمَعَ)

*الميسر:ملتقى

(ٱلْبَحْرَيْنِ)

و هو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك،

(أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا)

أي: مسافة طويلة، المعنى:-

أن الشوق و الرغبة،حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة،

و هذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه.

(فَلَمَّا بَلَغَا)

أي: هو و فتاه

(مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا)

و كان معهما حوت يتزودان منه و يأكلان،

و قد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته،

***وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِحَمْلِ حُوتٍ مَمْلُوحٍ مَعَهُ،
وَ قِيلَ لَهُ: مَتَى فقدتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّةَ.
فَسَارَا حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ؛
وَ هُنَاكَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: "عَيْنُ الْحَيَاةِ"،
فَنَامَا هُنَالِكَ، وَ أَصَابَ الْحُوتُ مِنْ رَشَاشِ ذَلِكَ الْمَاءِ فَاضْطَرَبَ
وَ كَانَ فِي مِكْتَلٍ مَعَ يُوشَعَ عليه السلام و طَفَر مِنَ المكْتل إِلَى الْبَحْرِ،
فَاسْتَيْقَظَ يُوشع عليه السلام وَ سَقَطَ الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ وَ جَعَلَ يَسِيرُ فِيهِ،
وَ الْمَاءُ لَهُ مِثْلُ الطَّاقِ لَا يَلْتَئِمُ بَعْدَهُ؛
وَ لِهَذَا قَالَ:-

(فَٱتَّخَذَ)

ذلك الحوت

(سَبِيلَهُۥ)

أي: طريقه

(فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا)

*** مِثْلَ السَرَب فِي الأرض.

***قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَارَ أَثَرُهُ كَأَنَّهُ حَجَر.

***عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:جَعَلَ الْحُوتُ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا يَبِسَ حتى يكون صخرة

و هذا من الآيات.

قال المفسرون إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه،

لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر،

فانسرب بإذن الله في البحر، و صار مع حيواناته حيا.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

إلى قوله : ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا82

(فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ)

فلما جاوز موسى و فتاه مجمع البحرين،

قال موسى لفتاه: (ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا)

أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط،

و إلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه،

و هذا من الآيات و العلامات الدالة لموسى، على وجود مطلبه،

و أيضا فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق،

فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب،

فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة،

(قَالَ)

له فتاه:

(أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ)

أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما

(فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ)

لأنه السبب في ذلك

(وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا)

أي: لما انسرب في البحر و دخل فيه، كان ذلك من العجائب.

قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سربا، و لموسى و فتاه عجبا،

فلما قال له الفتى هذا القول،

و كان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر،

***الميسر:فإن الحوت الميت دبّتْ فيه الحياة، و قفز في البحر،**

و اتخذ له فيه طريقًا، وكان أمره مما يُعْجَبُ منه.

فـ(قَالَ) موسى:

(ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ)

أي: نطلب

(فَٱرْتَدَّا)

أي: رجعا

(عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا)

أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت

فلما وصلا إليه،

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ)

و هو الخضر، و كان عبدا صالحا، لا نبيا على الصحيح.

(ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا)

أي:أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه و حسن عمله

(وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا)

أي: من عندنا

(عِلْمًا)

و كان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى

و إن كان موسى ﷺأعلم منه بأكثر الأشياء،

و خصوصا في العلوم الإيمانية، و الأصولية،

لأنه من أولي العزم من المرسلين،

الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، و العمل، و غير ذلك،

***** صحيح البخاري**

4725 - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ عن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ،
قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:
إِنَّ نَوْفًا البِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ،
لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ،
حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ،
فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ،
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ،
قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ،
قَالَ:تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ،
فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ، ثَمَّ فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ،
ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ،
حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا،
وَ اضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي البَحْرِ،

{فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا}[الكهف: 61]

وَ أَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ،
فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ،
فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحُوتِ،
فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ،
قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ{ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: 62]،
قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا المَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ،
فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)،
قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا،
فَقَالَ مُوسَى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)
قَالَ: رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ،
فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى،
فَقَالَ الخَضِرُ:وَ أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ،
قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟
قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا،
قَالَ:(إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)
يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ،
وَ أَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ،
فَقَالَ مُوسَى:{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف: 69]،
فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ:{فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: 70]،

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ،
فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ،
فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالقَدُوم،
فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا
(لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)
قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
وَ كَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا،
قَالَ:وَ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً،
فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ: مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ،
ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الخَضِرُ غُلاَمًا يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ،
فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:
(أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا).
(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)
قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى، قَالَ: {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي* قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا* فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا* فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} [الكهف: 77]-
قَالَ: مَائِلٌ - فَقَامَ الخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ،
فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا،

{لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا}[الكهف: 77]

قَالَ: {هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ}[الكهف: 78]إِلَى قَوْلِهِ:

{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}[الكهف: 82]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ

(وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا)

وَ كَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)( )

***صحيح البخاري

(كذب عدو الله) أي أخبر بما هو خلاف الحقيقة وهذا القول تغليظ من ابن عباس رضي الله عنهما وإلا فهو مؤمن مسلم حسن الإيمان والإسلام. (عتب الله عليه) لامه وخاطبه مخاطبة الإدلال وطالبا منه حسن مراجعته ومذكرا له بما كرهه منه. (مكتل) وعاء يشبه القفة. (اضطرب الحوت) تحرك مع أنه ميت وقيل كان مشويا. (سربا) مسلكا يذهب فيه أي بقي مسلكه كوة ولم يلتئم الماء خلفه. (جرية الماء) حالة جريانه. (الطاق) الثقب غير النافذ. (لموسى ولفتاه عجبا) تعجبا من أمره لأنه خارق للعادة. (مسجى) مغطى. (وأنى بأرضك السلام) من أين. (رشدا) ذا رشد أرشد به في ديني. (على علم) لدي علم ومعرفة. (علم الله) الواسع المحيط بكل شيء. (شيء) أعلمه وأنت تنكره. (أحدث لك منه ذكر) أذكره لك بعلته وأبين لك شأنه. (نول) أجرة. (فنقر) أخذ قطرة بمنقاره. (زاكية) طاهرة لم تذنب. وهذه قراءة حجازي وأبي عمرو وقراءة غيرهما {زكية}. (نكرا) منكرا وقيل النكر أشد من الإمر. (قد بلغت من لدني عذرا) أعذرك في مفارقتي لأنك بلغت النهاية في التنبيه. (استطعما أهلها) طلبا منهم الطعام ضيافة. (فراق بيني وبينك) وقت مفارقتي إياك. (تأويل) تفسير وبيان. (يقص الله علينا من خبرهما) أي ما قد يقع منهما أكثر مما ذكر. وقد ذكرت قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف من الآيات 60 - 82]

74 - عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَ الحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ،
فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَ صَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى،
الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ،
هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺيَذْكُرُ شَأْنَهُ؟
قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:
بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ
فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ "
قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى:
بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ،
فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً،
وَ قِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ،
وَ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ،
فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾
قَالَ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾،
فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ "( )

(تمارى) تجادل. (سأل موسى السبيل إلى لقيه) طلب من الله تعالى أن يدله على طريقة لقائه. (ملأ) جماعة. (بلى عبدنا خضر) أي بلى يوجد من هو أعلم منك وهو عبدنا خضر. (الحوت آية) علامة على مكان وجوده والحوت السمكة الكبيرة. (يتبع أثر الحوت) ينتظر فقده. (فتاه)

(قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ)

فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب و المشاورة،

و الإخبار عن مطلبه.

(هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا)

***سُؤَالٌ بِتَلَطُّف لَا عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَ الْإِجْبَارِ.

وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ.

أي:هل أتبعك [أصحبك و أرافقك] على أن تعلمني مما

(عُلِّمْتَ رُشْدًا)

الله، ما به أسترشد و أهتدي، و أعرف به الحق في تلك القضايا؟

و كان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام و الكرامة،

ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت،

حتى على موسى عليه السلام فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك،

(قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)

أي: لا تقدر على اتباعي و ملازمتي،

لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر،

صاحبه الذي يخدمه ويتبعه. (اوينا) نزلنا والتجأنا. (نبغي) نطلب. (فارتدا على آثارهما قصصا) رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر أي يتبعانه. (شأنهما) خبرهما وما جرى بينهما. (الذي قص) أي ما ذكره في سورة الكهف]

و باطنها غير ذلك،

***أَنْتَ لا تقدر أن تُصَاحِبَنِي لِمَا تَرَى منِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ
لِأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مَنْ عِلْمِ اللَّهِ، مَا عَلَّمَكَهُ اللَّهُ،
وَ أَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مَنْ عِلْمِ اللَّهِ، مَا عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ،
فَكُلٌّ مِنَّا مُكَلَّفٌ بِأُمُورٍ مِنَ اللَّهِ دُونَ صَاحِبِهِ، وَ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِي.

و لهذا قالَ(وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا)

أي: كيف تصبر على أمر،ما أحطت بباطنه و ظاهره

و لا علمت المقصود منه و مآله؟

***فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنْكِرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْذُورٌ فِيهِ،
و لكنْ مَا اطَّلَعَتْ عَلَى حِكْمَتِهِ وَ مَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي اطَّلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ.

فــــــــ(قَالَ) موسى:

(سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)

و هذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به،

و العزم شيء،

و وجود الصبر شيء آخر،

فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ (قَالَ) له الخضر:

(فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ)

أي: لا تبتدئني بسؤال منك و إنكار،

(حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا)

حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به،

فنهاه عن سؤاله، و وعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

(فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا)

أي: اقتلع الخضر منها لوحا،

و كان له مقصود في ذلك، سيبينه،

فلم يصبر موسى عليه السلام

لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة،

و سبب لغرق أهلها، و لهذا قال موسى:

(قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا)

أي: عظيما شنيعا، و هذا من عدم صبره عليه السلام

***الميسر:و قد حملونا بغير أجر؟**

فــ(قَالَ) له الخضر:

(أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا)

أي: فوقع كما أخبرتك،

و كان هذا من موسى نسيانا

فــ(قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)

أي: لا تعسر علي الأمر، و اسمح لي،

فإن ذلك وقع على وجه النسيان،

فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به و العذر منه،

و أنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك،

فسمح عنه الخضر.

(فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا)

أي: صغيرا

(فَقَتَلَهُ)

الخضر، فاشتد بموسى الغضب،

و أخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب.

(قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً)

***أَيْ صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْحِنْثَ وَ لَا حَمَلَتْ إِثْمًا بَعْدُ، فَقَتَلْتَهُ؟!

*:الميسر:لم تبلغ حدّ التكليف

(بِغَيْرِ نَفْسٍ)

*** بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِه

(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)

*** ظَاهِرَ النَّكَارَةِ.

و أي نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، و لم يقتل أحدًا؟!

و كانت الأولى من موسى نسيانا،

و هذه غير نسيان، و لكن عدم صبر.